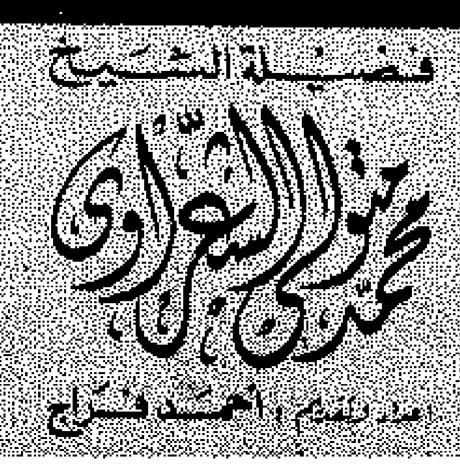
# القضاء والقدر

## معجزات الرسول

## اعجاز القرآن

## مكانة المرأة في الإسلام

29




دار الشروق

اهداءات ٢٠٠٢

د/ محمد عبد الفتاح العمراوى

الاسكندرية

القضـــــاء والقدر
ومعجزات الرســول

القاهرة : ١٦ جواد حسني ت ٥١٢١٤ برقيا : شروق القاهره
بيروت : ص . ب ٨٠٦٤ ت ٢٢٣٨٢٨ برقيا : دار شروق بيروت
جدة : ص . ب ٤١٤٦ ت ٢٦٦١٠ برقيا : شوركورب جدة

# القضاء والقدر

- معجزات الرسول
- إعجاز القرآن
- مكانة المرأة في الإسلام

فضيلة الشيخ :
محمد متولي الشعراوي
إعداد وتقديم :
أحمد فراج

الطبعـــة الأولى
يوليـــــو ١٩٧٥

---

الغـــلاف للفنان عبد السلام الشريف

بسم اللـــه الرحمن الرحيم

# دراسة تمهيدية :

الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، علم القرآن خلق الانسان علمه البيان ، والصلاة والســـلام على سيدنا محمد خير الانام أرسله ربنا بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا .

وأشهد ألا اله الا الله وحـــده لاشريك له ، له الملك وله الحمد بيده الخير ، اعطى العالمين الخير كله برحمته محمد .. « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » ( الانبياء آية ١٠٧ ) وأكمل لنا ديننا واتم علينا بالاسلام النعمة والرضى « اليوم أكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا » ( المائدة آية ٣ ) .

واختار اليه صفيه وحبيبه بعد ان بلغ الرســالة وأدى الأمانة ونصح الأمة ، وترك فينا ما آن تمسكنا به لانضل بعده أبدا ، كتـــاب الله ، ومثله معه « ألا انى أوتيت الكتاب ومثله معه » .

وبعد ، فهذا الكتاب الذى بين يديك كان فى الاصل مجموعة من الحلقات التى عرضت فى التليفزيون المصرى وكثير من محطات التليفزيون العربية من خلال برنامج نور على نور الذى أتشرف بانشاء موضوعاته واعداده ، كما أتشرف باختيار ضيوفه وتقديمه ، وتلقيت ــ ولا

ازال الوفا مؤلمه من الرغبات الملحة لاعداد الندوات التي كان ضـــــيفها العالم ( المصرى ) الجليـــــل فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى الاستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة وجدة ٠

وقد وضعت صفة « المصرى » بين هلالين لانني فى تقديم العالم الجليل ـ أوأى عالم سواه ـ لا أشـــغل عادة بالانتماء الاقليمى الوطنى لاحد ، لان دائرة الاهتمام الاسلامية تتجاوز مادونها ، والذى دعانى الى ذلك اننى تلقيت أثر ظهور فضيلته اســــتفسارات عديدة عن جنسيته ، مصرى هو ؟ أو ســـعودى ؟ ووجـــدت فى الاجابة تعريفا ٠ ثم تلقيت بعدها رسائل تطلب النص على ذكر جنسيته عند تقديمه ، ورأيت فى بعضها رغبة فى تأكيد أصالته« المصرية »وجذور انتماءاتها الاسلامية ، ورغبة فى اثبات حقيقة أن مصر قادرة دائما على العطاء ٠٠ بالامكان ٠٠ وبانجـاب الرجـال ٠ ولكننى رأيت فى بعض الرسائل نبرة أخرى يبدو انها تجاوزت ـ بشىء كالعتاب ـ حدود الســـــعودية الى حرم جامعة الملك عبد العزيز ، فاذا بالاخ الصديق معالى الدكتور محمد عبده يمانى رئيس الجامعة يلقانى يوما فى جدة ، وبسمة كأنها معاتبة ، ويقول : أن بعض الاخوة فى مصر كتبوا الينا يقولون : لماذا تأخذون الشيخ الشعراوى عندكم ؟ نحن فى حاجة اليه بمصر ٠ وأضاف الدكتـــور يمانى متسائلا : أليس هنا فى بلده ؟ ٠٠ ثم قال فى مداعبة رقيقة : لقد ذهب الأمام الشافعى الى مصر ، فما قلنا أنه بدأ هنا ثم أخذتموه منا أو حرمتمونا منه .

ومنذ اذاعه نور على نور مع فضيلة العالم الجليل حول الاسراء والمعراج فى محطات التليفزيون العربيـــــة ،

اقبلت تلك المحطات تريد كل حلقة معه ، بل وحرصت على أن تسجل معه مباشرة لقاءات وأحاديث عديدة ، وتنقل فضيلته بنفسه بين الكويت والأردن وقطر والامارات ، وربما غيرها (١) ، وسط أمواج دافقة من الحب والتقدير له وفيوض من المشاعر نبضها الايمان بالله والشوق الى معرفة المزيد عن هذا الدين العظيم • وهذه ظاهرة يسعد بها كل مؤمن ويشعر أن المسلمين بخير ما وجدوا سبيلا الى التعرف الصحيح على الاسلام ، ولكن هذه الظاهرة تبرز قضية على أكبر جانب من الاهمية •

وهذه القضية يمكن ان تتلخص فى كلمات هى : الطرح العصرى للاسلام •

وقبل ان نتناول هذه القضية لابد من تصفية لبس يخالط « الشكل » فان خالطه أفسد « المضمون » • ذلك ان وصف « العصرية » ينفصل — أو نفصل أحيانا — عن كلمة « الطرح » ويلتصق — أو يلصق أحيانا — بكلمة « الاسلام » فتتحول القضية من « الطرح العصرى » ، اى الاسلوب العصرى الحديث فى العرض »

---

(١) فى لقاء الوفد المصرى برئاسة الدكتور عبد العزيز حجازى — وكان رئيسا لمجلس الوزراء — مع سمو الامير صباح السالم أمير دولة الكويت وقبل جلسة المحادثات . استشهد سموه ببعض عبارات أوردها الشيخ الشعراوى فى احدى الحلقات . كان ذلك فى قصر الامير بالكويت فى شهر ديسمبر ١٩٧٤ . وفى القاهرة ذكر لى معالى الشيخ عبد الرحمن العتيقى وزير المالية الكويتى ، ان الشيخ الشعراوى يعتبر اعظم هدية قدمها نور على نور الى العالم الاسلامى .

وتصبح « الاسلام العصرى » وهنا المزلق — وهو جد خطير — الذى سقط فيه بعض الناس بحسن نية ، ويدفع آخرون الى السقوط فيه بخبث التدبير وسوء الطويه ، وعن تخطيط يراد به الكيد للاسلام والمسلمين .

والذى يتأمل الخريطة العقائدية للعالم (١)ويتاح له أن يضع الألوان والظلال فوق هذه الخريطة ، فسوف يجد على الفور انها كانت تتميز بلونين اساسيين هما اللون الاسلامي واللون المسيحى . بالاضافة الى لون ثالث يمكن ان نجمله للمناطق الوثنية .

فاذا عبر المتأمل لهذه الخريطة العقائدية للعالم ، نحو خمسين سنة من الزمان ، وأعاد تلوينها فسوف يلاحظ ان جانبا ضخما من اللون الذى كان ينتسب الى العقيدة المسيحية قد تحول الى لون جديد ، يسميه البعض وثنية جديدة ، ويسميه البعض الآخر بالالحاد ويسميه آخرون « المقبدة » — نعم ، المقيدة — الشيوعية . وأيا كانت تسميته ، فلا شك أنه كان يقتطع بالدرجة الاولى من اللون المسيحى ، الذى أصبح يتهدد بفقدان النضارة وتقلص السلطان على حياة الافراد والجماعات .

وأصبح اللون الوثنى أو الالحادى أو الشيوعى يزحف على الخريطة بالخطر . فهو أولا ، يهدد باجتياح اللون

---

(١) فكرة الخريطة العقائدية استوحيتها من حديث لى مع الفيلسوف العلامه الراحل الاستاذ مالك بن نبى وقد عرض لها ايضا فى احدى حلقات نور على نور .

المسـسيحى ـ بمزيد من الاسـتيلاءات أو الاحتواءات العقائدية الماركسـية وأن كان الراجح انه لايستسعر حاجة ملحة الى تركيز الجهود ضد المسيحيه ، قدر تيقنه من ان القوة الحقيقيـه التى تعوق زحفـه تكمـن فى الاسلام •

وثانيا : يهدد اللون الاسلامي ، الذى صار معرضا ـ منذ كارثة القرم الاسلامية وماتلاها من سقوط معاقل أخرى للاسلام ـ لغزوات فكرية ضارية تستهدف القضاء على الاسلام ، وهى غزوات بل غارات متعددة المصـادر والألوان •

وفى نفس الوقت الذى يتعرض فيه العالم الاسلامى لهجمة عقائدية الحادية يتعرض لحملات تبشيرية ينفق عليها بغير حسـاب ، ولبعض محاولات الابادة • اى أن الخطر الذى يستهدف الاسلام والمسلمين خطر مزدوج أو بالأحرى متعدد •

وقد نفهم مبررات الغزو الماركسي للعالم الاسلامى اذا اخذنا فى الاعتبار ـ بين مايراه البعض عنـد التحليل ـ الاصول اليهودية الصهيونية للفكر الماركسى ، ولكن الذى يستوقف النظر ، ضراوة الجهود التبشيرية من ناحية ، ومحاولات الابادة من ناحية اخرى الموجهـة الى العـالم الاسلامى • ولو أن هذه الجهود توجهت الى اللون الثالث فى الخريطة العقائدية ـ ويمثل المناطق الوثنية ـ وهى تضم الملايين ، لكان ذلك خيرا لقضية الدين فى مواجهـة الالحاد ، ولانقذنا ارواح الالآف من الضحايا الابرياء من مسلمى الفليبين مثلا •• الذين لن تعفى آلاف الدولارات التى تدفع الى بعض الصحف المنتسبة للاسلام ، على آثار الجريمة البشعة لابادتهم ، مهما نشر خـلاف ذلك من

موضوعات ، من أسف اننا نضلل بها انفسنا ونشترى الضلالة بثمن بخس دراهم معدودة • ولم يعد خافيا أن نسبة لايستهان بها من طاقة التبشير فى بعض البلاد الاسلامية "، التى رحبت بمساعده الكنيسة على نشر دعوة المسيح بين اتباعهـا من المسيحيين ، عوضا عن ان توجه الى هداية بعض المسيحيين الخارجين عن تعاليم المسيح ، وجهت الى أبناء المسلمين فى محاولة للتنفير والتكفير بالاسلام ، ولقد تحدث معالى الاستاذ مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشئون الدينية فى الجزائر فى ملتقى الفكر الاسلامى السادس عن حالات رصدت فى الجزائر وبعض بلاد المغرب الاسلامى وسجلت ضد مبشرين كانوا مأذونين بالنشاط لصالح المسيحيين فقال : لقد مسح طالب فى قسنطينه دار به منشر ، قلنا انه يبشر اخوانه وينقذ أخوانه المسيحيين ، ولكنه عوض أن ينقذ اخوانه المسيحيين أصبح يبشر لدى المسلمين واستطاع أن يؤثر فى حالة واحدة (١) .

ورغم خطر الغزو الفكرى او التبشيرى المتعدد من الصهيونية والفاتيكان والاستعمار على العالم الاسلامى فلا تزال نسبة الداخلين الى الاسلام تتزايد كل يوم ، ولاتقبل المقارنة بحال مع نذر يسير من المارقين منه ، وان لم يكن ذلك مدعاة الى الركون لطمأنينة قد تصبح خداعة فى مستقبل يخضع كل مافيه للتخطيط والعمل الدءوب •

---

(١) راجع وثائق الملتقى السادس للتعرف على الفكر الاسلامى ٢٤ يوليو ـــ ١ اغسطس ١٩٧٢ المجلد الثالث ص ١٢٧ فى كلمة السيد مولود قاسم وزير التعليم الاصلى والشئون الدينية .

## أزمة الانسان المعاصر :

ولكن هل هذه هي المشكلة ؟ أم أن المشكلة كما يرى البعض تكمن في أن الانسان في ظل الحضارة الغربية ، ـ حضارة الاشياء لاحضارة الانسان ـ قد اصبح يشعر أنه كلما زاد التقدم ووصل الى اشواط بالغة التعقيد في أساليب الحياة ، كلما بدأ واضحا أن الدين يفقد مواقعه الواحد بعد الآخر وانه يتقهقر بانتظام ـ واحيانا بغير انتظام ـ ويخلي موقع الاله لآلهة جديدة ، أصبحت تتعدد اليوم بعدد العقول والمناهج وطرائق التفكير والايديولوجيات أو العقائديات الجديدة التي تنسب لعباقرة هذا الزمان الذين أعطوا لانفسهم ـ أو منحهم اتباعهم ـ القداسة ، مضافا اليها الاختصاصات المنزوعة من الاله .

لاشك أن الدين خسر مواقعه في الشرق الملحد ، وان بقيت جذوره .

ولاشك أنه يزداد ضمورا في ظل حضارة الغرب ، حضارة الاشياء .

وازاء الخسران والضمور والضياع ، ظهرت نتائج متباينة ، يهمنا هنا ما كان منها على جبهة الدين .

لقد كانت هناك محاولات بذلت ـ وتبذل ـ لانقاذ الدين في الغرب من براثن الالحاد والرفض والتمرد ، ويجدربنا أن نسجل حولها الملاحظات التالية :

اولا : أن بعض هذه المحاولات يتجه مع الاسف اتجاها خاطئا بمحاولة القفز على العالم الاسلامي ـ عبر خط يمتد من روما الى الشرق الاقصى ـ أو الالتفاف حول العالم الاسلامي سواء أكان ذلك عن طريق الفليبين في أقصى الشرق من مواقع الاسلام ، أو اريتريا ، أو غيرها .

وسواء اكان ذلك بالسلاح والارهاب والتقتيل ، أو بالدعاية والاعلام والتعليم والطرف الحديثة ، أو بالاستثمار الامثل لفقر شعوب المسلمين . وهذا الاتجاه يعبر عن رواسب الحقد من ناحية ، وعن اليأس من الحل، أكثر مما يعبر عن الحرص على حل مشكلة الانسان الاوربى ازاء الدين ، فيعمد الى تصدير البضاعة التى يراها راكدة ، الى أسواق خارجية يظن انها تروج فيها ، بل يخطط لهذا الرواج .

ثانيا : أن بعض هذه المحاولات يتجه الى عقيدة الانسان فى الغرب ويحاول أن يدخل عليها نوعا من « التحديث » أو « العصرية » وهذا ما سنعود للتعليق عليه .

ثالثا : بعض هذه المحاولات يعلن انها تتجه الى محاولة الاقتراب من الاسلام وتحقيق تعاون بين الاسلام والمسيحية لدرء خطر الالحاد وهو اتجاه ايجابى بناء يمكن لو خلصت النيات أن يقدم خيرا كثيرا لقضية الدين والايمان .

وسواء فى الشرق الملحد أو الغرب الذى يعانى أزمة بازاء الدين ، أو يعانى الدين فيه أزمة بازاء قناعات انسان حضارة العصر ، فان هذا الانسان اصبح يعيش — ممزقا — عصر القلق . أو عصر « المراهقة الصناعية » كما ذكر ذلك العالم المصرى الدكتور رشدى فكار الاستاذ بجامعة الملك محمد الخامس بالرباط وعضو اكاديمية العلوم بفرنسا . (١)

---

(١) جاء هذا الموضوع فى حوار لم ينشر بعد مع الدكتور رشدى فكار فى برنامج نور على نور الذى اذاعه التليفزيون المصرى من القاهرة فى ٢٥ أبريل ١٩٧٥ والاصطلاح له ولفريق من العلماء .

وخلاصة القول في « المراهنة » أن الانسان انطلق في آفاق التقدم من أجل تسخير الصناعة ـ الآلة ـ لخدمته ورفاهيته ، وأصبح لدينا نظامان رئيسيان ـ أحدهما يسخر الانسان فيه من اجل المجتمع ، والاخر يستغل فيه المجتمع من أجل الانسان • وواقع الحال أن الانسان مسخر على الحالين ، أسير الالة والصناعة على الحالين .

وازاء خسران العقيدة في الشرق وضمورها في الغرب، يعيش انسان العصر انسان المعاناه ، عصر العبودية والقلق والتمزق والامراض النفسية والعصبية .

ولا يستطيع احد ان يجادل في مستوى التقدم المادى ـ فضلا عن أسباب الرفاهية ـ الذى حققه الانسان في ظل الحضارة الغربية ، بفرعيها الغربي والشرقي ـ ولكن احدا لا يستطيع أن يجادل ايضا في حجم المشكلات التي يعانيها انسان تلك الحضارة وتباين نوعياتها ، ادمان الخمور والمخدرات والانحلال والفساد الاخلاقي وتفكك الروابط الاسرية وما يصاحب ذلك من الرفض والتمرد على الحضارة ذاتها والتمزق والشقاء النفساني ، الذى يلفتنا انه يصل باصحابه الى أعلى نسبة في الانتحار ، في اكثر البلاد تقدما من ناحية مستويات الرفاهية المادية •

ولاينبغي أن نسقط من محاولات ايجاد الحل ـ بل ينبغي بالاحرى أن نبرز من بينها ـ تلك المحاولات التي استطاعت بها قلة ضئيلة ان ترفع من بصائرها غشاوة الحضارة الشيئية وتكتشف الحل الحقيقي لمأساة الضمير الاوربي وحضارته ، وان كان الاكثرون لايعرفون حتى الان ان هذا الحل اسمه « الاسلام » .

ولكننا على اي حال نعود الى محاولات ادخـــال التحديث او العصرية التى اسرنا اليها منذ قليل فى الفقرة ثانيا ، وهو ما بدأنا به هـــذه الدراسـة التقديمية عندما اثرنا قضية الطرح العصرى للدين . فنجـــد انه فى الغرب ، حدث خلط فى هذه القضية ، وربما كان هذا الخلط رد فعل لبعض الكتابات والدراسات التى ظهرت فى اوربا فى السنوات الاخيرة . وقد حدثنى الفيلسوف العلامة الراحل الاستاذ مالك بن نبى عن كتابين على سبيل المثال فى طبعتهما باللغة الفرنسية احدهما يحمل عنوان : « لا ماركس ولا المسيح ni Marx ni jesus » والثانى بعنوان deux mitles ans suffient الفاسنة كفاية » والاول يعبر كما هو واضح من عنوانه عن اعتقاد مؤلفه بعجز الماركسية والمسيحية عن علاج مشكلات العصر ، والثانى يعكس ـــ كما ينبىء عنوانه ـــ حالة التمرد على المسيحية اكتفاء بالف وتسعمائة وبضعة وسبعين عاما او نحو الفى سنة . وكان راى الاســتاذ مالك بن نبى رحمه الله أن علاج ازمة الحضارة يكمن فى الاسلام وعطائه للحيـــــاة ، وأن أوربا فى طريقها اليه ـــ مما يزيد من واجبات المسلمين اليوم ـــ أو أنها تبحث عن دين جديد .

نقول أن التحديث أو العصرية ربما كانت فى جانب من جوانبها رد فعل لبعض تلك الدراسات ، اذ ظهرت فى مواجهتها ـــ وربما قبلها ـــ كتـــابات عن المسيحية المعاصرة أو « الحديثة » ولايدخل فى هدفنا أن نتناول هـــذا الموضـــــوع ، ولكن الذى يعنينا منه أن بعض الدراســـــات الدينية ، وفى الاديان المقارنة على وجه الخصوص ، بدات أبحاثا لما أسموه أحيانا « الاســـلام اليوم » ثم سميت « الاسلام الحديث »

ويسرب الينا السعير ، او صدر الينا ، شأن ما صدر الينا عبر قرون التخلف والتبعية في العالم الاسلامي ، من مشاكل الدين في أوربا مع الناس والحياه ، بكل ما حملت من تناقضات واسقاطات .

وعلى سبيل المثال فان قضية الصراع بين الدين والعلم اذا طرحت في اطارها التاريخي والجغرافي نجد انها صحيحة في اوربا ، ولكننا اذا عرضناها من منظور اسلامي نجد عكسها تماما هو الصحيح . فان العلوم ازدهرت في ظل الاسلام ازدهارا حقيقيا ، ولم ينشأ صراع او مواجهة في الحياة الفكرية والثقافية والحضارية بين العلم والدين الاسلامي ، ولكن فكرة التصادم بين العلم والدين انتقلت الى العالم الاسلامي مع ما انتقل اليه من آثار الحضارة ومشكلات الفكر الاوربي والتصادمات التي وقعت بين العلم والكنيسة هناك ، وهي تصادمات غريبة كل الغربة من الاسلام .

ومكانة العلم في الاسلام لاتخفى على اى دارس مبتدىء يعرف قيمة العلم في هذا الدين الذي كان اول وحي السماء فيه على رسوله « اقرا باسم ربك الذي خلق » وكان اول قسم فيه بأداة العلم « ن والقلم وما يسطرون » .

واذن فقضية حديث الدين بضاعه اجنبية مستورده . واذكر انني استقبلت بمكتبي في مبنى الاذاعة والتليفزيون بالقاهرة استاذه جامعية اوربية كانت في مصر لاجراء بعض البحوث في مقارنة الاديان ، واقترح عليها بعض الاصدقاء زيارتي واختارت ان نتحدث في أحد الموضوعات التي تهمها وكان الموضوع يبدأ بالحديث عن « الاسلام

الحديث » Modern Islam وتوقفت .. وحرصت على تصحيح القضية — ابتداء — مع الاستاذة الجامعية ٠ فليس عندنا اسلامات متعددة ، أسلام قديم وآخر وسيط وثالث حديث ورابع تقدمي .. ولكنه «الاسلام» والمشكلة هي فقط ، — من وجهة نظرى — هي عصرية العرض أو الطرح العصرى للاسلام ٠ وقالت الاستاذة اننى لست أول شخص تقابله فى مصر ويستوقفها فى نفس القضية . وأسعدنى الا اكون الأول فقد أحسست اننى لن اكون الأخير ، وان المسلمين يعرفون ان حاجة « الاسلام » ، تكمن فى أسلوب عرضه بلغة يفهمها شباب اليوم وأبناء العصر . وليس المقصود بحال هو تطويع مبادىء الاسلام لأوضاع العصر ، فان هناك فرقا بين لغة العصروبين أوضاع العصر ، والمراد هو مخاطبة الناس باللغة التى يحسنون الفهم بها وبالاسلوب والطريقة التىتصل الى عقولهم وقلوبهم جميعا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم » ٠

واذا كنا نؤمن اليوم أن الاسلام هو الحل وهو الطريق لعلاج مشكلات العصر ومشكلات الانسان المعاصر وأزماته ، فلا جدال — بحكم البديهة — فى حاجة المسلمين اليه من باب أولى ، واذا سلمنا بهذه الحاجة عند المسلمين ، فقد سلمنا فى نفس اللحظة بأنهم ليسوا فى غنية عن التعرف على الاسلام مبرءا من الشوائب ، واضح الرواء ، بين العطاء ، جزيل الخير ، حتى يمكنهم من بعد أن يعرضوه على البشرية ، انقاذا لها من أدوائها ومعاناتها ، وبعد — أو مع — ان نكون قد أخذنا لأنفسنا من الاسلام ما يشير الى القدوة والنموذج الذى يمكن

احتذاؤه ، وان لم يكن ذلك حتميا — عند الاقتناع بالاسلام — كشرط لتبني حلوله أو اعتناقه .

وعند هذه النقطة نشعر بالازمة ولكن لاينبغي لهذا الشعور بها أن يطغى على ادراكنا الواعي بايجابيات ضخمة وكبيرة تتوافر في الساحة ، بمعنى أن قيام الازمة في ذاته لايسيغ الانصراف عن التقويم الموضوعي لعوامل السلب والايجاب معا ، الامر الذي يقتضينا في النهاية أن ننطلق من الواقع الذي تدرك ابعاده ومشاكله الى المستقبل الذي نريد ان يكون . وهنا نطرح أمورا محددة هي اقرب الى رءوس الموضوعات .

ان مناهج التعليم في الدول الاسلامية تحتاج في غالبيتها الى اعادة نظر . ودون الدخول في تفصيلات فيها لسنا أهلا لها وليست محاولتها من شأن هذه الدراسة التقديمية ، فان محصلة هذه المناهج يجب ان تنعكس على نوعيه الشباب المسلم المتعلم ، الذي نراه الان — بعد تحصيل تلك المناهج — اخلاطا غير متميزة الطابع والمقومات مما يشير الى طبيعة ومستوى البنية التعليمية التي يتشكل على وفقها شبابنا .

وحتى مع الجوانب الايجابية من هذه المناهج نلمس انفصالا بين التكوين العقلي والتربية السلوكية المبنية على الدين والقدوة .

وليس العلاج في « كم » الدين الذي يعطى لأبنائنا ، ولا ينبغي ان يضيع الوقت حول هذا الكم بالزيادة أو النقصان ، فان اشاعة قيم الدين ومفاهيمه في سائر العلوم أكثر فائدة من زيادة « مقررات » الدين « حصة » على « بطاقة » أو جدول كل طالب .

والقدوة الحسنة من الاسرة والمدرسة هامه وخطيره، ولكنها تفقد كل اهميتها وخطورتها اذا لم تتكامل معهما مصادر التوجيه والاشعاع والاقتداء الاخرى ، اى اذا لم يتكامل معها المسجد او الكنيسة والشارع، والصحيفه والمجلة والاذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما والاداب والفنون ، بحيث تقدم جميعا معزوفه أخلاقيه مسجمة موحية ومربيه . فاذا تكامل بعضها وشذ بعضها الآخر، كأن يقتحم التليفزيون مثلا او المجلة حياه الاسرة بقيم غريبة تقوض ولا تبنى ، فلن تكون النتيجة مجرد الهدم — وهو خطير — ولكنها تتجاوز الى تمييع القيم واهتزاز قيمة الثبوت فى التربية ، وتمزيق وجدانات المتلقين وتشتتها ، الى تفصيل ليس هذا مجاله .

نحن فى حاجة الى تربية « المدرسة الأرقمية » التى كانت فى دار الارقم بن أبى الأرقم . نحن فى حاجه لا الى حشد الرءوس بقيم الأخلاق ، وانما الى اطلاقها فى سلوكنا اليومى لنقرن العلم بالعمل « كنا نتعلم العشر آيات بالعشر آيات وكنا لا نتجاوزهن ..حتى نحفظهن . ونعلمهن .

ونعمل بما فيهن .

فكنا نتعلم العلم والعمل جميعا » .

نحن فى حاجة الى بناء ثقافى جديد نؤكد فيه على اصالتنا — وتفتحنا ولانستغل دعوى التجديد . فنجعلها شغلنا الذى لانشغل لنا سواه ، حتى لننسى شق القضية وهو الشق الاساسى فى الحقيقة . وهنا احب أن استأنس بكلمات عميقة الدلاله ذكرها السيد الرئيس محمد انور السادات فى وثيقة اكتوبر نعتقد أنها لا تزال فى حاجة الى التأكيد عليها

فقد قال « لايمكن أن نكون حصانتنا ازاء هذا الانفتاح والاتصال الامن داخلنا ، ولا يكون الحفاظ على هويتنا بالانكماش والجمود والضعف ، ولكن بدرجة التقدم التي نحرزها ، بالاسلوب السليم الذى يستمد حيويته من قدرتنا على التجديد ، وثباته من تمسكنا بالاصالة »

ونفهم من كلام الرئيس السادات أننا مدعوون لاكتشاف الذات ، مدعوون الى ارتياد الأفاق الرحبه لفكرنا وثقافتنا وحضارتنا ، مدعوون الى دراسة عطاء ديننا ومبادئه للحياة والتقدم ، فان وجدنا بغيتنا — ونحن لاشك واجدون — فذلك ماكنا نبغى ، وان لم نجد ، فاننا ننطلق — من توجيه ديننا واصالتنا — بحثا عما ننشد ، والحكمة ضالة المؤمن ، انى وجدها فهو أحق الناس بهـا .

ولكن ، حين يعمد البعض الى تحويل الاصالة الى مجرد شعار ، ويلتفون من حوله أو حتى من تحته ويتجهون مباشرة الى « التجديد » دون أن يكلفوا أنفسهم عناء نظرة الى الكنوز المتوافرة في عطاء الدين لعلهم يجدون فيه ما يستغنون به عن النظر الى الشرق أو الغرب ، فأن هذا المسلك تقويض لعلمية المنهج ، واهدار للأصالة ذاتها .

ويستوى فى هذا اهدار الاصالة او تجاهلها بدعوى التجديد ، واسقاط التجديد خوفا على الاصالة .

وأسوق هنا مثالا واحدا فى تأصيل القيم :

الكاتب الكبير الذى نكن له الاحترام والتقدير الاستاذ توفيق الحكيم يطرح قضية فى جريدة الاهرام المصرية (١)

---

(١) الاهرام ٨ مايو ١٩٧٥ .

جمـــــل لها عنوانا هو « الفـــرق بين تقديم السـمكة وصيد السـمكه » ويتكلم عن ضرورة نقـل التعليم من مرحلة الحفظ الى مرحلة الفكر . وهذه القضية محسومة كماهو معروف فى الفكر الاسلامى وفى التطبيق الاسلامى، فى آيات القرآن وفى احاديث الرسول عليه الصـــلاة والسـلام وفى عمل الصحابه وفى منهج المسـلمين فى بناء الانسان وبناء المجتمع وبناء الحضارة . ولا يتسع المجال لسوق عشرات الامثلة والادلة . يقول الاسـتاذ الكبير توفيق الحكيم « هذه الثورة التعليمية التى تنقلنا من الحفظ الى الفكـــر هى التى تنقـــل حضــــارتنا من حضـــــارة اســـتهلاكية لمنتجات الحضـــــارة الانتاجية التى يقوم بها غيرنا (١) ثم يتبع ذلك قــــول الكاتب الكبير « قال المثل الصينى المعروف : بدل أن تعطى احدا سمكه علمه كيف يصـــطاد السـمك . لان اعطاءك السمك سيجعله دائما محتاجا اليك . اما تعليمه كيـــف يصطاد هو وينتج الســــمك ، فهو الذى يحرره دائما من اليد الى الفم » (٢) .

وهذا المثل الصينى المعروف الذى أورده اديبنا الكبير

---

(١) المفكر الجزائرى الفيلسوف الراحل الاستاذ مالك بن نبى له سلسلة من الدراسات الرائعة تحت عنوان مشكلات الحضارة أثار فى بعضها مشكلة « تكديس منتجات الحضارة بدلا من انتاجها » فى العـــالم الاسلامى نشرت فى الستينات واعيد طبعها ونشرها اكثر من مرة حتى السبعينات تستحق أن يحرص عليها كل قارىء .

(٢) لعل هناك خطأ مطبعيا والمقصود .. من أن يمد اليـد الى الغير .

افاده الله اعترف انني لم أكن أعرفه ، وهو مثل قيم يعبر عن الحكمه التي اشتهر بها شعب الصين العريق . ولكنني تذكرت كلمة قالها الملك الحسن الثاني ملك المغرب (١) عن بعض حكم زعماء الصين المعاصرين حين قال :
« لو كان ماوتسي وتنج مسلما وعالما بالنظريات الاسلامية لما كان في حاجة الى أن يرهق نفسه لابتكار البدهيات » .

تذكرت هذه الكلمة وانا اقرأ المثل الصيني « المعروف » ووجدته مع روعته قاصرا أشد القصور عن أن يبلغ شيئا من مستوى توجيه نبوي من محمد بن عبد الله — النبي الامي — عليه الصلاة والسلام ، مع أننا نجل رسولنا عليه الصلاة والسلام عن مقارنة كلامه أصلا بكلام كائن من كان .

- فقد رأى عليه الصلاة والسلام رجلا يسأل الناس الصدقه ، هذا الرجل له « حق » في بيت مال المسلمين كان حريا به ان يأخذه — بل له في الفكر الاسلامي ان يقاتل من أجله واذا قتل فهو شهيد — وكان يمكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يتصدق عليه ، فقد كان أجود الناس ، وحتى لو لم يكن مع رسول الله ما يتصدق به — على سبيل الافتراض — فقد كان أيسر اليسر ان يدعو من حوله الى التصدق على الرجل . ولكن هل هذا يحل المشكلة ؟ بديهي انها تحل ، ولكنه حل مؤقت « سيجعله دائما محتاجا اليك » كما يقول المثل الصيني

---

(١) راجع خطب وتصريحات الملك الحسن الثاني عام ١٩٧٤ نشرتها وزارة الدولة المكلفة بالاعلام في المغرب ١٩٧٥ صفحة ٤٦ .

المعروف . واذن فلا بد من حل آخر . وهذا الحل الاخر في المثل الصيني ، هو ان تعلم الرجل كيف يصطاد السمك . واذا كان الحل الصيني قد انتهى عند هذا الحد ، حد التعليم النظري للصيد فمن الواضح انه لم يحل المشكلة بالصورة التي تصورها اديبنا الكبير . لاننا لو افترضنا أن الرجل تعلم كيفية صيد السمك ، فلن يزال في « حاجة اليك » فمن اين له أدوات الصيد؟ ومن اين له المال الذي يشتري به ادوات الصيد وهي هنا أدوات الانتاج ؟ وواضح ان الحل الصيني حل لا بأس به من الوجهة النظرية ولكنه يبقى على المشكلة قائمة .

وهنا نعود الى النبي الامي عليه الصلاة والسلام ونرى كيف حل مشكلة الرجل ، لقد سأله الرسول عليه الصلاة والسلام هل عندك شيء ؟ . هل تملك شيئا ؟ . اذن هو ينظر الى المشكلة لا من مظهرها الخارجي المتمثل في التسول أو السؤال ، وانما يبحث عن جذورها . فقال الرجل عندي حلس ( أي شيء من أمتعة البيت ) ، فقال له أحضرها ، فلما احضرها بين يدى الرسول قال عليه الصلاة والسلام لمن حوله ، من يشتري هذا ؟ . فقال أحدهم اشتريها بخمس ، فقال الرسول : من يزيد فزاد آخر فقال الرسول : من يزيد .. فزاد آخر فبيعت بخمسة عشر درهما . واذا بالرسول يأمره ان يقسمها قسمين ، ودعاه أن يشتري بأحدهما طعاما لاهله ، وان يذهب فيشتري بالقسم الآخر قدوما ، أي فأسا — أى أداة انتاج — وقال له اذهب واعمل ولا أرينك الا بعد سبعة (أيام ) ، ففعل الرجل .. وعرف الطريق الى الكسب .

وهذا الحل المحمدى صالح للتعميم على مشكلة كل فرد

فى نفس الظروف ، بل هو صالح للاخذ به على مستوى المجتمع والدولة ، فمصر مثلا نواجه مشكلة اقتصادية حاليا ، والسؤال أمامها : هل نتجه الى الانفاق على الاستهلاك لمواجهة متطلباته الملحة ، أم نضغط على نفسها بمزيد من الصبر والتضحيات لتوجه طاقاتها ومايتاح لها من موارد نحو الاستثمار فى الانتاج على حساب الاستهلاك السريع • ان الحل المحمدى لمشكلة الرجل يطرح اختيارا موضوعيا ومنطقيا للحل على مستوى الفرد كما يمكن أن يكون على مستوى الدولة فقد وجه الى مايلى :

١ ـ دراسة الموقف وتقويم الاصول ( وهو مايملكه الرجل ) •

٢ ـ دعوة اخوانه الى المساهمة أو المعاونة بطريقة كريمة فى زيادة قيمة هذه الاصول بشرائها فيما يشبه المزاد الخيرى •

٣ ـ توجيه جزء من عائد البيع الى مواجهة المشكلات الملحة ، وهى الحاجات الاستهلاكية العاجلة •

٤ ـ توجيه الجزء الآخر الى الاستثمار بشراء سلع راسمالية ( اداة أو ادوات الانتاج ، وهى فى المثال الذى معنا مجرد قدوم أو فأس يمكن فى حالات أخرى أن تكون اقامة مصانع أو العناية بالمراحل العليا فى الانتاج ) •

٥ ـ عن طريق الاستثمار الرأسمالى يتم الانتاج ـ والتنمية ـ الذى هو الاساس الصحيح لحل المشكلة الاقتصادية •

٦ ـ ضرورة متابعة خطة الانتاج بعد فترة زمنية معقولة

وشاهدنا في المثال الذي معنا ، ان الرسول طلب أن يرى الرجل بعد سبعه ايام لاعادة دراسه الموقف مع نفسه في أن المشكلة في طريقها الى الحل .

وواضح أن الحل النبوي هو الحل العلمي لمن شاء ان يقارن . ولكن المقصود ليس المقارنة بقدر ما اردنا ان نبرز قضية الاصاله .

ونحن نعتقد أن التأصيل لحلول مشكلات العصر بمنهج « تجديدي » لا غضاضه فيه من حيث هو ، اذا كانت مناهجنا ومعطيات ديننا تخلو من مثله ، ولكن ، حين توجد الحلول عندنا وحين نضم مناهجنا ماهو أفضل من المثلية او الحلول المماثلة ، فاننا نكون مقصرين بحجبها عن شبابنا وامتنا .

ولا نزعم ان أديبنا الكبير يجهل هذه الواقعة ، حاشاه ، ولكننا نعتقد لفرط حبنا للاسلام وايماننا بمعطياته ، انه حتى لو تصورنا فائدة من سوق أمثلة وحكم اجنبية لاقناع القارىء ـ وهي فائدة محققة لاريب ـ فلا أقل من محاولة التأصيل للحلول بالاسلام المعطاء ، ولا يعجز عن ذلك أديبنا الكبير بل أن صدور ذلك من مثله ، من شأنه ان يعمق شعورنا بالاصالة ، فلا نهرع الى التجديد الا حينما يعوزنا عطاء الاصالة ، والا عمقنا الغربة عن الاسلام ، وأبعدنا في المسيرة خارج سبله القويمة .

ومادمنا قد تناولنا مقدمة كلمة الاديب الكبير فلا بأس من تناول عجزها ( بضم الجيم وكسر الزاي ) ، حيث قال في ختامها : « عرفت استاذا في التعليم الثانوي منذ ستين عاما ، كان فلتة من الفلتات وكان عائدا لتوه من الخارج كان يقول : لا تأخذوا دروسي وأفكاري على أنها آراء منزلة صائبة دائما . بل عليكم أن تناقشوها وتفندوها وقد أكون مخطئا . وأكون سعيدا وناجحا اذا جئتم

بافكار مصمة تخالفني لان المهم ليس حشو رؤوسكم بمعلومات ستطير غدا . ولكن الاهم هو ان تحللوا افكاري وتتقدموا بافكار من عندكم تؤيدها أو تناقضها . المهم دائما هو ان ينحرك فكركم مع فكري وعملكم مع عقلي الى ان قال : « أما المعلومات فأدلكم على المصادر والمراجع التي استقي منها لتراجعوني بأنفسكم والى الكتب والمراجع التي تخالفني لتنظروا فيها كذلك » .. انتهى . ونرجو ان يعود القارىء الى وصف اديبنا الكبير لذلك المدرس الذي عرفه منذ ستين عاما بأنه كان « فلتة من الفلتات » ، وانه « كان عائدا لتوه من الخارج » .

ولانسوق في التعليق الا كلمتين ، الاولى للامام مالك رضي الله عنه وأرضاه وكان يلقي دروسه في مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام غير بعيد من مثواه الشريف ، قال فيها لتلاميذه : « كل انسان يؤخذ من كلامه ويرد عليه الا صاحب هذه الحجرة »وأشار الى حيث دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والكلمة الثانية للامام الشافعي رضي الله عنه وأرضاه حين كان ينهى تلاميذه عن تقليده ويقول لهم « خذوا العلم من حيث أخذنا ( دعوة الى المصادر ) ولا تقلدوني في كل ما اقول » .

كان ذلك من ألف سنة .

وقد انتقل منهم هذا المنهج الى أوربا ، فانتشلها من عصور الظلام ، ومدنوها كما ذكر جوستاف لوبون عندما قال ان « العرب هم الذين مدنوا أوروبا » ، ثم عادت كلمات هذا المنهج مع مثل المدرس الذي كان فلتة وكان عائدا لتوه من الخارج .

ان اعتزاز المتلقين بكلمة تصدر من الاستاذ الكبير توفيق الحكيم ومن كل صاحب فكر وقلم أصيل ، يؤصل

فيها بالاسلام لقضايانا ، أمر يشارك فى تصحيح اقامة البناء الثقافى الذى ننشده .

نحن فى حاجة الى الوعى بالذات .

نحن فى حاجة الى اعادة كتابة تاريخنا من جديد ..

نحن فى حاجة الى تصحيح نظرتنا الى كثير من القيم والمفاهيم :

قيمه العلم وهو باب كل خير ، على أن يكون باسم الله .

قيمة الوقت ، وهو ليس من ذهب أو فضة ، ولكنه الحيـــــاة .

قيمـــة التخطيط والتنظيم ، وهو اســـاس النظرة المستقبلية « تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تأكلون . ثم يأتى من بعـــد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون . ثم يأتى من بعـــــد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيـــه يعصرون » (١) .

قيمة العمل ، وهو أساس كل تقدم .

قيمه الواجب قبل الحق ، فاذا قل الواجب عن الحق أكلت الامة ماليديها وهلكت ، واذا تساوى الواجب مع الحق وقفت فىمكانها لاتتحرك الى أمام ، ولاأمل لها الاأن تحقق فائضا فى الواجب عن « الحق » تصنع به تقدمهـــا وتبنى نمــــــوها والفائض فى الواجب هو فائض فى الانتاج (٢) .

---

(١) سورة يوسف آيات ( ٤٧ — ٤٩ ) .

(٢) راجع كتاب المسلم فى عالم الاقتصاد للاســـتاذ مالك بن نبى ص ١٠٣ وما بعدها .

قيمة الانسان ، وهو الركيزة لكل بناء ، فاذا سلم ، سلم معه بنيان الاسرة والمجتمع وبنيان الحضارة ، حضارة الانسان .

وقيمة الايمان بالله الواحد الاحد ، وبغير هذا الايمان ينهار الانسان « فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق » ويكون شقاء الحياة ودمار الحضارة (١) .

وباختصار ..

فالمسلمون بل والعالم كله ، فى حاجة الى الاسلام ، والمسلمون أشد حاجة الى حسن عرضه . صحيح ان تطبيقه في بلاد العروبة والاسلام ، لن يكون شرطا للاقناع به عند غير المسلمين الان ، لانه لم يكن رسالة السماء للعرب وحدهم ، وانما كان رسالة لكل البشر بل وللعالمين . ولكن اذا بقيت الحاجة الى تجربة الاسلام ، فانه قد جرب بالفعل ، وأعطى الانسان ، ثم أعطى المجتمع الفاضل فى المدينة ، ثم اعطى الحضارة الاسلامية ذات المضمون الانسانى الايمانى الشامل ، ثم هو قادر الى اليوم ، لا على اضافة تكنولوجيا جديدة ، وانما على انقاذ التكنولوجيا القائمة من الدمار الذاتى ، وعلى انقاذ انسانها من المعاناة والشقاء ، وعلى أن يسكب فى ضمير الحياة ، التوزان الذى يعيد اليها رشدها ، التوازن فى الانسان بين جسمه وروحه ، التوازن بين المادة والروح،

---

(١) راجع فى مفصل هذا المعنى حديث الدكتور المهدى بن عبود المفكر المغربى فى كتاب نور على نور الذى نشره الهلال عدد ٢٥٠ نوفمبر ١٩٧١ .

والتوازن بين الحقوق والواجبـــات ، بين الفرد والاسرة والرجل والمرأة والمجتمع والدولة ، التوازن حتى في القيم فقد يكون الكرم هو نقطة التوازن بين الاسراف والبخل ، والشجاعة هي بين التهور والجبن ·

والرسول صلى الله عليه وسلم يقول لعبد الله بن عمرو مامعناه : ان لله عليك حقا وان لبدنك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا · وعندما ذكر اصحابه بالقيامة يوما اهتزت قلوبهم واجتمع عدد منهم واتفقوا على أن يصوموا النهار ويقوموا الليل ولاينامو على الفرش ولاياكلوا اللحم ولا يقربوا النساء والطيب ، ويرفضوا الدنيا ويسيحوا في الارض ويترهبوا ، وبلغ ذلك النبي · فجمعهم وقال : الم أنبأ انكم اتفقتم على كذا وكذا ·· فقالوا : بلى يارسول اللـــه ، وما اردنا الا الخـــير فقال : اني لم أومر بذلك فصوموا وافطروا وقوموا وناموا ، فاني أصوم وافطر ، وأقوم وانام ، وآكل الطعام ، ومن رغب عن سنتي فليس مني ، ثم خرج الى الناس وخطب فيهم فقال : مابال أقوام حرموا النســـاء والطعام والطيبات والنوم ؟ · اما اني لست آمركم أن تكونوا قسيسين ولا رهبانا ، فانه ليس في ديني ترك ذلك ولا اتخاذ الصوامع ، وان سياحـــة أمتي الصوم ، ورهبانيتها الجهاد واعبدوا الله ولاتشركوا به شـــيئا ، وحجوا واعتمروا ، واقيموا الصــــلاة وآتوا الزكاة وصـــوموا رمضـــــان ، فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شددوا على انفسهم فشدد الله عليهم ونزل في ذلك القرآن « يأيهـــا الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ، ولا تعتدوا ، ان الله لايحب المعتدين ، وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى انتم به تؤمنون » ، ( ٨٧ ـ ٨٨ ـ المائدة ) ·

ولعل هذا هو اروع ما في الاســـلام ، التوازن ، أو التعادلية السوية ، في ضوئها ينطلق الانسان السوى بالايمـــان والعلم والعمل ، عقله نور للشرع ، والشرع عصمة للعقل كما يقول الاصفهاني .

ثم نعود الى هذا الكتاب . فنجده يقبس من ذلك الكتاب الذى لاريب فيه والذى نستضىء بنوره ، وهو يضـــم أربع حلقات تقوم في جوهرها على نفس المنهج الذى يبرز عطاء الاسلام للانسان والحياة ويجسد موضوع الطرح العصرى للاسلام .

أولا : في قضية عقلية شغلت البشر عبر قرون ، ولم يقدم فيها حل كالذى قدمه الاسلام . وعرضه باسلوبه فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى . وهى قضية القضاء والقدر ، وهل الانسان مســـير أم مخير ، ونرجو أن يكون فضيلته قد قدم جوابا شافيا في هـــذه القضية ، نقول ذلك بعد رصد الاثار والانطباعات الرائعة اثر اذاعة « نور على نور » في هذا الموضوع .

وثانيا : في قضية المعجزات الكونية ـ أو بعضها ـ التى صاحبت ميلاد محمد عليه الصلاة والســلام أو صاحبته رسولا فيما بعد ، وحين شرح فضـــيلته بعض تلك المعجزات وقضية الانســـجام بين سائر المخلوقات وفرحة الكون بميلاد من سيعيد الانســجام بين عناصر الكون ومخلوقات الخالق ، فقد حقق في الواقع انسجاما رائعا بين النظرة العقلانية العلمية والنظرة الوجدانيـــة النفسانية ، في بوتقة ايمانية واحدة .

وثالثا في قضية اعجاز القرآن البياني ، واعجازه حين يعجز اللسان عن استيعاب البيان ، فيطرح أولا نماذج وأمثلة بعرض وتذوق رفيع غير مسبوق ، فيمـا أعلم ،

هو أروع من الروعة ، ويشرح مثلا قتل الاولاد من املاق وخشية املاق ، ويعالج تناول القرآن للسمع بالمفرد والأبصار بالجمع ، والمرضع والمرضعة ، وأمثلة أخرى كثيرة بعضها أروع من بعض ، ثم يعرض قضية المنهج حين لا تكون العربية اللسان .

ورابعا : في قضية هي شغل الناس في زمان الناس هذا ــ وأحسب في كل زمان ــ وهي قضية المرأة .

ولست انوى أن اقول في هذه القضية أو غيرها شيئا ، بحسبي ما ارجوه للقارىء مع مايلي من لقاءات مفصلة مع فضيلة العالم الجليل الشيخ محمد متولى الشعراوى حول تلك الموضوعات ، وانما احببت أن اقدم بين يدى تلك اللقاءات بموضوع رجوت ان ينال الاهتمام ، وخاصة ممن يتصدون لعرض الاسلام ، نعم ان الاسلام يعرض نفسه ، ولكننا في حاجة الى افضل استثمار لطاقاتنا الروحية والنفسية والذهنية والمادية ، لطرح عطائه لخير المسلمين ولصالح المؤمنين وللنفع البشرية الظامئة الى عالم يتحقق فيه لكل انسان الامان والامن .. امان على لقمة العيش وحق العمل والتكافل الاجتماعي .

وأمن يطمئن فيه على حقوقه في الحياة والحرية والزواج والمسكن والتعليم والكرامة الانسانية والمساواة وسائر الحقوق التى لم يكتف الاسلام بالنص عليها ، وانما كفلها وضمنها واقتضى لها واجباتها ، ليبقى هو الحل الذى يقضى على اغتراب المسلم في عالمه بل ويقضى على اغتراب « الانسان » في عالم العصر .. وكل العصور .

وما لم تتكامل الامكانيات والجهود على المستويين

المحلى والاسلامى لخدمة الدعوة الاسلامية ، ولتزكية حركتها ، ولترشيد اسـاليب طرحها على المسلمين وغيرهم ، فان النتائج القريبة لن تكون فى صالحنا .. سوف تزداد الحملات المضاده للدين من قوى الالحاد والشرك . ولسوف يزداد تشبث اتباع الدين بالدين ، ذلك حق ، ولكننا نريد ان يكون ذلك وعيا بجوهر الدين ومبادئه ودوره ، وليس مجرد ردة فعل . والا ، ففى غيبة الوعى الصحيح بالدين ، يفرخ التعصب الاعمى ، والتضليل ، والاستغلال ، والتواكل ... وسلبيات اخرى كثيرة تشوه أصحابها وتسيىء الى الصورة الصحيحة للدين ذاته .

وفى مجال المسئولية ، لا ينبغى ان نجامل احد احدا ، فكلنا مسئول ، كلم راع وكلكم مسئول عن رعيته .. ولكنا نعتقد مسئولية خاصة على علماء الاسلام ، نؤمن حين يقومون بأمانتها — وفى مقدمة ذلك حسن طرح الدين طرحا عصريا — اننا سنتصل الى بر الامن والامان .. بر الايمان ، حيث تسود مثل الحق والحب والخير والرحمة والجمال والسلام ، فى عالم — رغم تقدمه المادى — هو أحوج ما يكون الى هذه القيم ، التى تجد مصدرها الحقيقى والعملى مع سائر القيم والمثل الايجابية ، فى لفظة واحدة هى .. الاسلام .

ومصر كانت ، وستبقى دائما باذن الله ، قلعة العروبة وحصن الايمان ، تعتز بالاسلام ، ويعز الله بها الاسلام .

**احمد فراج**

# القضـــاء والقـــدر

## بســـــم الله الرحمن الرحيم

### الأستاذ أحمد فراج

لقاء عزيز مع فضيله الأستاذ الجليل الشـــــيخ محمد متولى الشعراوى ، بعد أن سعدنا باللقاء معه من قبل فى كتاب « الاسراء والمعراج » والحقيقة أن هذه الفرصة التى تسمنح لنا بهذا الحوار الذى نعتز به مع فضيلته قد تكون مفيدة لكى نطرح عليه عددا من الموضوعات طالما تلقيناها فى أسئلة كثيرة وطالما عنتلكثير منا ، وطالما راودت بعضهذه الاسئلةكثيرا من العقول والاذهان ، وخاصة بالنسبة للشبابوحتى لغير الشباب ، نقصد بهذا موضوع القضاء والقدر ، والسؤال القديم هـــل الانســـان مسير أم مخير ،

موضـــوع الجبر والاختيار ، وتلك الأسئلة الكثيره التى تدور حول هذه القضـــايا • ربما نجـــد بعض الناس ، وخاصة الشباب ــ وحتى غير الشباب كما نذكر ــ يقولون ان كل انسان يخلق ، يكون فى علم الله سبحانه وتعالى ماذا كان من أهل الجنة أو من أهل النار ، فاذا كان من أهل الجنة ، فمهما عمل لن يغير ذلك من مصيره شيئا ، واذا كان من أهل النار فلن يجديه نفعا أى شىء يعمله لكى يغير من هـــذا المصير الذى هو فى علم الله • ويقال : الله خلقنـــا وخلق أفعالنا ، فلماذا يحاسبنا على الأفعال الشريرة التى نعملها طالما أنه هو الذى خلقهـــا • هذه بعض الأسئلة التى تخطر على بال كثير منا وأحيانا نطوى عليها جوانحنا ، وبعض الشباب يتحرج من طرحها وربما يجد فى نفسه الشجاعة ويسأل فى المدرســـة ، وقد ينهره المدرس ؛ ويقول له حرام أن تسأل فى هذا الموضوع ، فبعضنا يشعر فى بعض الاوقات أن هناك أســـئلة يدخل طرحها فى مناطق من التأثم ، يأثم الانسان ليس فى مجرد النطق بها بل اذا فكر فيها ، ويشعر حينئذ انه يكتم شـــيئا يثقل نفسه ويرهق

فكره ، لكن مثل هــذه الأمــور فى الواقع يجب أن تناقش فى وقت من الأوقات .

لقد خلق الله لنا عقولنا ، فاذا أهتدى العقــــل الى الله ، فيكون بفضل الله ، واذا لم يهتد ، فالله سبحانه وتعالى كان قادرا على أن يهديه ، فاذا لم يهده فلماذا يحاسبه ؟ أنا أريد أن أهتدى الى الله ، وان التزم بطاعة الله فى كل صغيرة وكبيرة ، فاذا لم أستطع ، فلم يحاسبنى وهو قادر على أن يعيننى فيهدينى .. الى غير ذلك من الاسئلة الكثيرة التى لاشك أنها راودتنا أو راودت بعضنا أو تراود بعضنا الى الان أو تراود شبابنا دائما بصفة خاصة .

وحين تتاح هذه الفرصة لنشر هذا الحوار مــع فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى حول هذه الامور فان القارىء الذى عرف فضيلته فى بحثه للأمور والقضايا يعرف منهجه المقنع السلس الذى يصدر من القلب والعقل معا ، فيستريح له القلب ، كما يأنس له العقل .

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

أحمدك ربى وأستعينك واستلهمك وأصلى وأسلم على سيدنا ومولانا محمد وبعد ، فان الاسئلة التى أدار الاستاذ أحمد بعضا منها تدور حول فكرة كثيرا ما نسمعها من الشباب ومن غيرهم وفى شتى الاديان . ومن الانصاف أن نقول ، ان الاسلام هو المنهج الوحيد أو الدين الوحيد الذى استطاع بوضوح أن يضع النقط على الحروف فى هذه المسألة ليقتنع القلب والعقل والوجدان ، وليس ذلك نقصا فى الديانات السابقة ، ولكن النقص نشأ من أن مناهج الديانات السابقة لم تصلنا كما أنزلها الله على رسله ، فذاك ليس عيبا فى الدين وانما عيب فى نقلة ذلك الدين ، ونحن نقرأ فى القرآن أمورا لا نجدها حيث أخبر بها القرآن وهو أصدق الحديث .

موضوع الانسان مسير أم مخير ، مجبر أم مختار ، يثير فى الذهن ابتداء سؤالا هو : كيف تنشأ المشكلة ؟ اذا قلت مثلا أنا والله لا أستطيع أن أحكم

على فلان أهو كريم أم بخيل ؟ لا تنشأ هذه المشكلة فى الحكم الا اذا رأيت له بعض التصرفات كان فيها كريما وبعض التصرفات الاخرى كان فيها بخيلا ، فترددت فى المساءلة ، أهو كريم أم بخيـــل ؟ لو أن كل التصرفات التى أخذتها عليه كرم ، ما نشأ شـــق السؤال : أم هو بخيل ؟ ولو كانت كل التصرفات بخلا ما نشأ أم هو كريم . على هذا النمط ، السؤال .. الانسان مسير أم مخير ؟ لو كان فى ظاهر الحياة .. ان الانسان يرى نفسه مجبرا على كل أعماله ، لمـــا نشأت فكرة : أهو مخير ، ولو أنـــــه مخير فى كل أعماله لما نشأت فكرة : أهو مسير ؟ اذا فالانســـان يجد أفعالا كثيرة تحدث فيه بدون اختيار منه ، فيرى أنه مادام لم يوجد له اختيار فهو مســــير فيها ، وأشياء كثيرة تقع على حسب ما قدر واختار ، يريد أن يلبس بدلة لونها كذا ، يريد أن يأكل طعاما شكله كذا ، يريد أن يتعلم فى مدرسة كذا ، يريد ان يعمل كذا ، فتقع الامور كما يقرر أو قريبا مما يقرر ، اذا فهناك أمور للاختيار دخـــــل فيهـــا ، وأمور ليس للاختيار دخل فيها ومن هنا نشأت المشكلة .

## ما الانســــــان .. ؟

هذا الانسان الذى نريد أن نعـــرف : مسير هو أم مخير ، لابد أن نعرف حقيقة هذا المحكوم عليه ، ما هو الانسان أولا ؟ الانســـان كائن من الكائنات الموجودة فى الارض ، وليس الجنس الوحيد فيها ، بل هناك أجناس أخرى تشاركه فى الوجود ، ولكن بالاستقراء وجدنا أن الانسان أرقى هذه الاجناس ، وكل الاجناس فى خدمته ، أقرب الاجناس اليه من جهة الدنو والمدركة بالحس هى الحيوانات ، وتحت الحيوانات النباتات ، وتحت النباتات الجماد ، اذا فالاجناس الموجودة .. جمادات ، ونباتات ، وحيوان وانسان .

بماذا امتاز النبات عن الجماد ؟ له جرم ولـــه حيز مثل الجماد تماما ، الا أنه امتاز عنه بالنمو ، صار جنسا برأسه ، والحيوان امتاز عن النبـــات بشيء من الحس والحركة ، بماذا امتاز الانسان عن الحيوان ؟ بالفكر ، وما معنى الفكر فى الانســان ؟

الفكر معناه المقياس الذى يختار بـين البديلات ، والامر الذى لابديل فيه ، لاعمل لعقلك فيه • وهنا يمكن أن نطرح قضية : عمل العقل ، رأيت بعقلك رأيا أو عمـــلا تستطيع أن تعمله أو تتركه ، واذا طرحنا القضية بهذه الصيغة ، فقد طرحنا معها فى ذات الوقت قضية « البديل » تفعل أو لاتفعــل ، ومادام هناك بديل ، فعقلك يرجح ويختار ، فالامور التى لابديل لها ، لا عمل للعقل فيهــــا أبدا ، اذا الانسان رغم كونه أعلى الاجناس ، ففيه حيوانية ، وفيه نباتية وفيه جمادية • فما فى الانسان من قدر الجمادية وما فيه من قدر النباتية ، وما فيـــه من قدر الحيوانية ، فهو مسير فيه كالجماد وكالنبـــات وكالحيوان ، واذا تصورنا ان انســـانا يستطيع أن يرفع نفسه عن الارض الى أعلا ، فسوف يســـــقط بعد ذلك كقطعة الحجر ، لان قانون الجماد يتحكم فيه وقانون الجاذبية يحكمه ويشده الى أســـفل ، وأيضا فهو ينمو ولا دخل له فى ذلك النمـــو وليس له عمل فيه ، كذلك فهو يحس ويتحرك وليس لـــــه عمل فى الاحساس ولا فى الحركة ولا ادارة دواليب

جسمه وأجهزته ولا دخل له فيها أبدا ، ولا يعرف كيف تدور الدورة الدموية ولا يعرف كيف تصنع الرئة فعلها •• ولا الجهـــاز البولى ولا الجهاز التناسلى ولا أى جهاز ، ولا الجهاز الهضمى لايعرف الانسان شيئا من هذا أو بمعنى آخر هو لا ارادة له فيها ولا يصنعها • اذا فما فيه من الحيوانية أيضا هو مســـخر فيه كالحيوان تماما ، ولا اختيار له فى شيء •

وأرجو ان أدعو كل فرد لان يرى نفسه فى هـذه القضية وسوف أحاول ان أرى نفسى معه فيها •• ان من رحمة الله أنه جعلنى مسيرا فى ذلك كله ، فان ادارة أجهزة جسمى كانت ستؤجل الى أن يصير لى عقل ، فأعرف كيف أشغل أجهزة الجسم ، فمن رحمة الله بى أنه جعلنى مسيرا ولا عمل لى فى هذه المسألة البتة ، لانها تؤدى مهمتها وأنا نائم ، فاذا كان لى اختيـــار ، فمن يديرها لى وأنا نائم ؟ اذا فما فى الانسان من جمادية ونباتية وحيوانية مسير كهـذه الاجناس تماما ولا اختيار له فى شيء •• والسؤال

الذى يرد هنا هو متى تنفصل فيه ؟ والجـواب فى الخاصية التى تجعله انسانا وهى العقل والفكر •• اذا ففى المنطقة التى يعرض فيها الفعل على العقل ، يفعل أو لا يفعل • فتلك هى المنطقة التى يوجد فيها الاختيار ، وهى منطقة التكليف من الله ، ولذلك فان فاقد هذه لا يكلف من الله ، لماذا لا يكلف المجنون ؟ لانه فقد أداة الاختيار بين البديلات •• والذى لم ينضج عقله بعد •• لم يكلف أيضا ، لانه لم يصبح أهلا للحكم على الاشياء • اذا فربط التكليف بالعقل وجودا ونضوجا ، يدل على على أن مهمة التكليف هى فى الامر الاختيارى الذى يجد الانسان فيـه بديلا •• يفعل أو •• لا يفعل •• ولو أن الانسان لم يكن مخيرا لاستوى أن يكلف المجنون وغير ناضج العقل ، اذا مادام قصر التكليف على العـــاقل •• والعاقل الذى نضج عقله •• أى الذى بلغ ســن الرشد ، فما دام التكليف منصـبا عليه ، فيـكون التكليف هو فى منطقة الاختيار ، ومنطقة الاختيـار هذه هى التمييز ، اذا فالذى يقول أن الانســـان على اطلاقه مسير ، يكون مخطئا ، أو يقــول ان

الانسان على اطلاقه مخير يكون مخطئا •• ونقول له حلل الانسان الى عناصره فستجد فيه جمادية •• وفيه نباتية وفيه حيوانية ، فما فيه من هذه الاشياء هو مسير فيها •• ولا اختيار له فيها ، ومافيه من منطقة الاختيار بين البديلات بواسطة العقل ففيها تكون منطقة الاختيار ، تفعل هذا ، ولا تفعل هذا •

هنا نجد أن الدين حينما أراد أن يتعرض لهذه المسألة فقد تناولها فيما أفهم على أساس أن جعل لله وصفين ، الوصف الاول •• أنه هو الخالق وهو الفعال لكل شيء ، هذه واحدة ، والثانية •• أنه عدل • ولا ينبغي لاحد أن يأخذ صفة على حساب صفة • فالذى يقول ان الله هو الذى يفعل للانسان كل شيء ، فهو يريد أن يحقق لله صفة الخلق لكل شيء وبعد ذلك يحله عن صفة العدل ، فمادام هو الذى فعل كل شيء ، فلماذا يعذبنى حينما أعصاه ؟ فنجد مسألة العدل هذه ستنتهى ، وآخر يريد أن يحقق فكرة العدل لله فنجده يجعل للانسان فعل كل شيء •

ونحن نقول للاثنين .. لا ، فأنتمـــــا على خطأ ، فلابد أن تأخذ كل صفة سبيلها ، فهو خالق لكل شيء نعم ، ولكنه عدل أيضا ، وكلمة عدل تتطلب منا أن نفهم أن الله لم يكلفنا الا بما خلقنا صالحين لفعله وصالحين لعدم فعله فيوجه لنا الوجهــة ، والادلة صالحة ان تفعل .. أو .. لا تفعل .

فأنا مثلا حينما أرجح طريقا على طريقه لا يقال خلقت الفعل ، وانما وجهت الطاقة المخلــوقة الله ، بالعقل المخلوق لله ، للمادة المخلوقة لله ، فأنا ليس لي فعل ، وانما أنا وجهت الادوات الفاعلة فقط ، ومادمت أنا الذي وجهت فالفعل ليس مني وانمـــــا التوجه فقط للفعل مني أنا ، فاذا الانسان المؤمن يقول .. الله يفعل كل شيء .. نعم هو يفعل كل شيء ولكنه مع ذلك عدل ، نأتي هنا ونقول ما مهمة الرسل اذا ؟ ان مهمة الرسل هي أن ترسم منهــج الله لتقول لك افعل كذا .. أو لا تفعل كذا ، الله لا يقول لك افعل كذا ، ولا تفعـــل كذا الا اذا كان خلقك صالحا لئلا تفعل أو تفعل ، فعندما يقـــول :

افعل هذا فلابد أن يكون قد خلقنى صالحا لان افعله وان لا أفعله ، ولو كان قد خلقنى صالحا لان أفعل فقط لما قال لى : لا تفعل ، ولو كان قد خلقنى صالحا لئلا أفعل ، لما قال لى افعل ، فاذا لابد ان يكون قد خلقنى فى هذا الامر الناضج ، الاختيار بين البديلات الامر العقلى وأنا صالح لان افعل هذا ، ولان أفعل هذا : هنا نجد أن هدايات الرسل تأتى لها معنى وهى الدلالة ، هداية بمعنى الدلالة ، وما معانى الدلالة ؟ أنت تهدى انسانا الى شىء ، أى تدله على طريق الخير ، مثلا هناك فرق بين هداية تدل ، وهداية تعين وتحمل ، هداية تدل ، هذا قدر مشترك حتى مع الكفار فالحق سبحانه وتعالى يقول « وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ، فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون » (١) لو أخذنا .. «فهديناهم» على المعنى العام ، نجد أن الله تعالى يقول بعدها مباشرة « فاستحبوا العمى على الهدى » فكلمة هديناهم هنا ليست بمعنى حملناهم

---

(١) آية رقم ١٧ سورة فصلت .

على أن يكونوا مهديين ولكن هدينـاهم هنا .. أى دللناهم على الطريق الموصل للخير ، فهل استمعوا أم لم يستمعوا ؟ لم يستمعوا ، اذا فوردت الهداية فى القرآن بمعنى الدلالة على الطريق الموصل للخير ووردت أيضا بمعنى آخر وهو التمكين من فعل الخير والمعونة على فعل الخير . كيف هذا ؟ نقول مثـلا .. ولله المثل الاعلى ، أنا أمضى فى الطريق ، وأريد أن أذهب الى رأس البر مثلا وأنا لا أعـرف الطريق الموصل اليها ، فجاء جندى المرور وقال لى « هـذا هو الطـريق المؤدى الى رأس البر » فدلنى على الطريق بكلامه . اذا أنا إنصعت له وشكرته ، وبعد ذلك اتجهت لأسير فيه فأجده يقول لى « اسـمع ، هذا الطريق فيه عقبة فى مكان كذا ويصح أن تعمل كذا حتى تنتهى منه » أى يرشـدنى الى شىء فى الطريق ، والثانية أنه قد يطلب منى أن يذهب معى حتى يخلصنى من هذه العقبة ، فاذا هناك هدايتان ، هداية دلت على الطريق فقط ، وهداية أعانت على أن تسلك الطريق ، أعان جندى المرور من الـذى انصاع له وآمن بمشورته فى أن الطريق هو هنا ،

أما الذى لا يأتمر بأمره ‥ ويقول له « لا ‥ أنت لا تعرف الطريق ، وماذا عرفت أنت عن الطريق ؛ فالطريق ليس هناك » أيمكن لجندى المرور أن يعينه عملا بأن يسير معه الى أن يدله ؟ بالطبع لا . كذلك — ولله المثل الاعلى — الهداية بالنسبة لله ، الله يهدى الجميع مؤمنا وكافرا ، يهدى ‥ بمعنى يدل الجميع على طريق الخير ، وبعد ذلك فالذى يؤمن به الها ويستمع اليه بعد ذلك ؛ يعينه وييسـسهل عليه المهمة ، ولذلك الاستاذ احمد قالربنا يعينه ، والمعونة لا تتأتى الا من مقبل على عمل وبعد ذلك تعينه ، أما غير مقبل على عمل فكيف تكون المعونة ؟ فالمعونة لا تأتى لشخص لا يعمل ، ثم تجعله يعمـــل ‥ لا ، ولكن المعونة أن تجد واحـــدا مقبلا على عمـــل ، وبعد ذلك تعينه أنت على العمل .

**الاستاذ احمد فراج :**

هذا سيثير فى أذهان البعض ســؤالا أيضا ، ما الذى أعان هذا ، ولم يعن ذلك ، ثم أليس اللـــه هو الذى يهدى من يشاء ويضل من يشاء ؟

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

حينما نطالع آيات فى القرآن ، لابد أن نستحضر كل المادة . بمعنى سأرى آيات فيها نفى وآيات فيها اثبات مثلا .. الله يقول لرسوله صلى الله عليـــه وسلم « .. وانك لتهدى الى صراط مستقيم (١) » « انك لتهدى » .. ماذا أثبت له ؟ أثبت له الهداية ثم يقول فى آية أخرى : « انك لا تهدى من أحببت (٢) فأثبتها له مرة ونفاها عنه مرة أخرى . ولايمكن أن يكون النفى والاثبات متعلقين بمعنى واحــد فى الهداية ، بل الهداية هنا لها معنيان ، هداية بمعنى الدلالة وهداية بمعنى المعونة ، أما التى للرســول عليه الصلاة والسلام فالهداية بمعنى الدلالة « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » أى تدل الناس وترشدهم على طريق الخير ، يسلكوه .. أو .. لا يسلكوه هذا

---

(١) الاية رقم ٥٢ سورة الشورى ونصها « وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا ، وانك لتهدى الى صراط مستقيم » .

(٢) الآية رقم ٥٦ سورة القصص . ونصها « انك لاتهـــدى من احببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين » .

موضوع آخر ، يؤمنوا به أو لا يؤمنوا به •• هـذا موضوع آخر ، فالذى يؤمن به ، ويقبل على منهج الله فيه ، ويصدق الله فيه ، يكون عمل الله فى أن ييسر عليه الأمر وأن يعنيه ، يأتى فى آيـة ثانيـة ويقول « •• والذين اهتدوا •• زادهم هدى وآتاهم تقـواهم » (١) اذا فالهداية ترد بمعنيين ، بمعنى الدلالة وبمعنى الحمل على الخـير ، فالتى بمعنى الدلالة ، فالكل مشترك فيها وأما الحمل على الخير ، فالذى يقبل على الله مؤمنا به ، ومصـدقا لهداه ، يقول له ما دمت آمنت بى وصـدقت بى واقبلت بنفسك على منهجى ، أعينك أنا عـلى ذلك المنهج وأمكنك منه وأريك حلاوته ، اذا فالحق حينما يقول « واما ثمود فهديناهم » أى دللناهم « فاستحبوا العمى على الهدى » أى أنهم قالـوا : لا •• نحن غير مؤمنين بأن هناك ربا ، وليس هناك من توجيه ، فاذا كانوا غير مؤمنين بأن هناك ربا وبأن منه التوجيه فكيف يمكنهم من الهداية ؟ •• لا يمكنهم •• وانما

---

(١) الآيه رقم ١٧ سورة محمد .

يمكن من أقبل مؤمنا به ومن سمع له وكأنه يقـــول له •• آمنت بى وصدقت منهجى ، وأقبلت بنفسك على ؟ اذا فأعينك على ذلك الامر ، فاذا رأيت آيـــة مطلقة فى قوله « يهدى من يشاء ويضل من يشاء » فلابد أن نحمل المطلق فى القرآن على مقيده ، نقول له هات آيات القرآن فى الهداية كلها تجد هنـــــا « يضل من يشاء ويهدى من يشاء » (١) •• عـــــلى الكل عامة •• وفى آية أخرى يقول « والله لا يهدى القوم الكافرين » (٢) كافرين به ، فكيف يعينهم على التقوى ، لايمكن، «والله لايهدى القوم الفاسقين» (٣) و « والله لا يهـــــدى القـــــوم الظالمين » (٤) •• « •• ان الله لا يهدى من هو كاذب كفار » (٥) •• اذا فهداية الله بمعنى تذليل العقبات والحمل عـــلى

---

(١) آيه ٩٣ من سورة النحل ونصها « ولو شاء الله لجعلكم أمه واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتســــألن عما كنتم تعملون » •

(٢) آية ٢٦٤ من سوره البقره •

(٣) آية ١٠٨ من سورة المائدة ،

(٤) آية ٢٥٨ من سوره البقره •

(٥) آية ٣ من سورة الزمر •

طريق الخير لمن ؟ لمن استمع له وآمن به وأقبل على منهجه ، فالمعونة تأتى من الله لصاحب ذلك ، وأما الذى لا يؤمن بالله ولا يستمع منه ولا يقبل على منهجه فكيف يعينه الله؟ لا يمكن أن يعينه الله فاذا رأيت آيات فى القرآن مطلقة ، وآيات مقيدة ، فاحمل المطلق دائما على المقيد ، وقل « يهدى من يشاء » نعم صحيح . ولكن من هم .. الذين يشاؤهم ؟ فأما الذى كفر به فلا يعينه على الهداية فهو قد هدى الجميع بمعنى دلهم لكن المعونة منه لا تكون الا لمن آمن به واقتنع بالمنهج عنه ، فاذا آمن به واقتنع بالمنهج عنه تكون معونة الله سبحانه وتعالى له .

**الأستاذ احمد فراج :**

بعد هذا الحديث الشائق ، ربما يرد فى بعض الخواطر نقطتان ، الاولى ان بعض الكافرين أو الجاحدين أو الذين لا يؤمنون بالله يعانون أحيانا على أمر من أمور الدنيا ، بينما لا يعان عليه المؤمن المتقى الذى يطيع الله ؛ بل قد يجد المؤمن من

الابتلاء مالا يجده الكافر ، هذه نقطة ، والنقطـة الثانية تتعلق بسؤال مطروح هو : اذا كان هناك شخص على تقوى من الله وكان آخر من غير المتقين فهل هناك قدرة على الاختيار عند الاثنين؟ وهل هناك حرية اختيار ، لانه متى توافرت حـرية الاختيار أصبح هناك مقتضى أو أساس للحســاب بالثواب والعقاب ، أرجو توضيح ذلك •

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

الدليل على المراد فى توفر حرية الاختيار أن المكره على شيء لا يعـاقب عليه ، ومامعنى الاكراه ؟ أن يحملك على مالا تختار ، مادام يكرهك •• أى يحملك على مالا تختار ، فلا يتعلق عقاب ، اذا الذى يفسد عليك الاختيار يرفع عنك العقوبة • فمعنى ذلك أن المكلف ضامن لك الاختيار ، بدليل ، أنه حين يأتى واحد ويكرهك على العمل فلايكون عليك عقوبة •• فمعنى هذا أن الذى خلقك ، وخلقك مختارا ، فلابد أن تكون مؤمنا بكل ما يكون منه ، فاذا تدخلت قوة لتكرهك على شيء أنت تختار غيره ، فيكون الحساب

فى هذه قد ارتفع عنك • أما المسألة الأخــرى وهى مسائل الدنيا وغيرها فان مسائل الدنيا عادة نجــــد أن النفس مقبلة عليها بطبيعتها ، لكن هناك المناهج التى تحدد حركة المؤمن فى الحياة • لا يوجد أحــد يحث على أمر دنياه أبدا ، كل الناس مقبلون على أمور دنياهم بالاسباب والوسائل ، فالــذى يتقن الأسباب مؤمنا كان أم كافرا ، يأخذها •• يقول الله تعــالى : « من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله فى الآخرة من نصيب»(١) ويقول:«كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك •• وماكان عطاء ربك محظورا» (٢) •• وعالم الأسباب فى مسائل الدنيا مطروح أمام الخلق، فالذى يأخذ للشىء أسبابه ، ويتقن عمله يأخذ خيره مؤمنا كان أو كافرا ، لكن لا يأخذ منهج الله الا من آمن بالله ، فمنهج الله هــــذا مخصوص بمن ؟ مخصوص بالمؤمنين ، المؤمن الذى آمن بوجود الله

(١) آية رقم ٢٠ سورة الشورى •
(٢) آية رقم ٢٠ سورة الاسراء •

فساعه أن يأمره الله بأمر ، فثقته فى الآمر وثقته فى التكليف تجعله يقبل على الامر ، لانه مكلف به من الله ، اذا أقبل تأتى له معونة الله ، والدنيا كما قال سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من هوانها عند الله أنه أعطـاها للمؤمن وأعطاها للكافر ، اذا فلا تقاس مسائل الدنيا بمسائل التكليفات • وحتى نوضح هذه المسألة نأتى ونقول حين يطرح الانسان قضيه من قضايا دنياه بعيده عن تكليف السماء كأن نجد — على سبيل المثال — طالبا يريد أن يتعلم فى كلية الهندسة ، وهو الآن طالب فى المرحلة الاعداديه، فلابد أن يرتب نفسه على أن يكون متقدما فى الثانوية ومجموعه كذا ، فان لم يقع على كلية الهندسة فقريب منها • واذا أراد طالب بأن يكون من العشرة الأوائل فى التوجيهية ، فانه يرتب حياته واختباراته على أن يكون كذلك ، فان لم يستطع فقد يكون — مثلا من العشرين ، يقع قريبا من الاوائل •• لماذا ؟ لانـه أخطأ فى بعض التقديرات • وهنـا نسأل ، لماذا لايتدخل القدر مع الناس مثلا فى أنه يأتى أول الشهر ويمتنع أحد عن صرف راتبه ؟ من الذى امتنع أول

الشهر أن يذهب ليصرف راتبه ؟ لايوجد أحد ، الا أن يأتى للشخص ظرف قاهر ، لماذا لم يتدخل القدر هنا ، طيب لنتصور ان رئيس الجمهورية يقول أنا مسافر الساعة الرابعة صباحا وأريد الوزراء وكذا وكذا يكونوا ف توديعى ، من الذى يتأخر؟ لا أحد . لماذا لم يتأخروا؟ لكن اذا قيل ان الفجر يؤذن الله أكبر ، وقيل لك تعالى الى الصلاة .. لماذا تدخل القدر ف هذه ؟ لماذا تدخل القدر هنا ، ولم يتدخل القدر هناك ؟ أرونى واحدا من الذين امتحنوا ف الثانوية العامة والذى يبلغ عددهم كذا ألف تأخر من بدء الحصة الاولى من الامتحان مهما كانت مسافته ف المواصلات بعيدة ، لماذا رتب أموره هكذا ، ورتبت له بحيث وقع على مايختار ، لكن اذا قيل له صل أو اعمل خيرا ما ، يأتى ويقول لك القدر تدخل . لماذا لم يتدخل القدر الا ف الامور المطلوبة تكليفيا وف أمور دنياه ترتب تلك الامور ، فان لم يقع عليها فانه يقع قريبا منها . هذا سؤال أثاره المسرفون على أنفسهم ، مسير أم مخير ، ولذا الدليل على ذلك .. أن المسألة ليس فيها تناقض عقلى ، لأنه لو كان

هناك تناقض عقلى ، لكانوا سيقولون ، اذا كان الله كتب على الانسان المعصية ، فلماذا يعذبه ؟ ولنـــا هنا أن نقول انه يأتى الشق الثانى ، واذا كان كتب عليه الطاعة فلماذا يثيبه ؟ لم نسمع السؤال الثانى أبدا ؟ كل سؤال يرد ، يقال فيه ، اذا كان الله قــد كتب على المعصية ، لماذا يعذبنى ؟ ولم نسأل أبدا ، واذا كان كتب عليه الطاعة فلماذا يثيبه ؟ لم نسمع السؤال الثانى أبدا ؟ كل سؤال يرد ، يقال فيـــه ، اذا كان الله قد كتب على المعصية ، لماذا يعذبنى ؟ ولم نسأل أبدا ، واذا كان قد كتب له الطاعه فلماذا يثيبه؟ لماذا؟ لأن المسألة الأولى جاءت لهبظلم كمايرى، والثانية جاءت له بيسر ، فهو يريد أن يوجد لنفســـه منفذا ليخلص منه .. من ذلك الغرم . ولذلك نأتى ونقول ، أن الحق سبحانه وتعالى مادام قد خلق له عقلا ، وجعل العقل هو مطية التكليف ، بحيث اذا لم يكن عاقلا لا يكلف ، واذا أكره يسقط عنه التكليف ، واذا لم يكن عقله ناضجا أيضـــا فمعنى ذلك ان الاختيار الموجود فيه ، مشروط فى اقباله على العمل،

والاختيار لا يكون الا مع قدرته على هذا العمل وقدرته على العمل الاخر •

التليفزيون مثلا صالح بأن تجعل مؤشره على القناة الخامسة التى بها حديث دينى وصالح لان تجعل مؤشره على القناة السابعة التى بها حفلة راقصة ، والقناتان يمكن رؤيتهما بمنتهى السهولة وبدون أى عقبة ، ومع ذلك أنت تفرض على أولادك ألا يجعلوا مؤشر التليفزيون الا على قناة واحدة معينة مع أنه صالح للقناتين ، فأنت حين تعاقب أولادك •• على ماذا تعاقبهم ؟ لا تعاقبهم على خلق الطاقة ، وانما على توجيه الطاقة ، فهذه الموجة موجودة وتلك الموجة موجودة لكن أنتم توجهتم بارادتكم الى فتح موجة معينة ، فالعقوبة ليست على الفعل بل على توجه الفعل الى شىء أنت لا تستطيع أن تفعله •

هنا يأتى سؤال ، كما يقول الاستاذ أحمد ، وهو أن كل واحد يقول •• مادام الله قد كتبعلى ، فماذا يكون عملى أنا ؟ ويكون ردنا عليه وما الذى أدراك ؟

هل قد أطلعت على اللوح المحفوظ فعرفت نفسك، أنك مكتوب من أهل الشقاء ، من الذى قال لك ذلك ؟ لم يقلها لك أحد ، وقد يرد بأن يقول : حين أقبل على العمل السيء أفهم أننى من أهل الشقاء ، فنقول له ، وهل أنت تقبل على كل عمل شرير ، فلا يوجد ناس مطبوعون على الخير المحض ، وناس مطبوعون على الشر المحض ، ولكن الله كتب عليك أزلا .. لماذا ؟ لان لله الخلق والقدرة ، والعلم ، صفة العلم عند الله — هى التى جعلت الحق سبحانه وتعالى كأنه يقول .. أنا سأخلق عبدى فلان ، وسأخلقه مختارا فى بعض الاعمال وغير مختار فى بعضها الآخر ، وغير المختار فيه لا دخل فيه للحساب ، وسأدخل الحساب فيما له فيه من اختيار ، لكن عبدى أنا أعرفه سيختار كذا ويختار كذا ، فهو قد كتب أزلا لانه علم ...

**الأستاذ أحمد فراج :**

وهل علمه أجبر .. بمعنى هل هو علم جبرى ؟

## فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى :

سؤال فى محله هل العلم صـــفة جبر ؟ العلـــم ليس صـــفة جبر ، العلم صـــفة انكتـــــاف فقط ، العلم صــــفة انكشاف •• تنكشف الاشـــياء على ما هى عليــــه ، وأنـــا سأضرب مثـــلا بسيطا جدا ؛ كثـيرا ما أضربه للطلاب ، مثـــلا أنت جئت لتزورنى فى البيت وعندى خادم فأرسلته يحضر لك زجاجة من الكازوزة من البقال ؛ فلما خرج أبطـــأ ، فقلت لك : هل تعرف لماذا أبطأ ؟ قلت لى •• لا أعرف قلت لك •• والله هناك ولد آخر على ناصيةالشارع مستولى على هذا الولد ، وحينما يراه خارجا لشراء حاجة ، يأخذه ويلعب معه •• ويأخذ منه النقود ، والنقود ضاعت من الولد وهو خائف أن يأتى • هذا الكلام قد قلته وأنا معك فى البيت وبعد ذلك جـــاء الولد فسألناه ما الحكاية ، فقال كما قلت أنــــــا هل يا ترى عندما تكلمت أنا عن الولد وما يصنعـــه وقلت أنه سيحصل منه كذا وكذا ، أكنت قد أرسلت معه قوة لترغمه على فعل ما أقوله لك ؟ أم هـــو فى

حاله؟ طيب فكيف قلت أنا هذا الكلام؟ أنا قلته •• لأننى أعرف سوابقه مع أن معرفتى لسوابقه تكون للعلم فقط •• لكن ليس عندى قدرة ترغمه على تنفيذ ما أقول • كذلك ــ ولله المثل الاعلى ــ علم الله سبحانه وتعالى أزلا مايكون من عبده المختار ، فقال •• سيكون من عبدى كذا وكذا ، فهو كتب لا ليلزم ولكنه كتب لأنه عالم بما يكون من العبد • والفرق بين الصورتين أن العلم فى البشر قد يتخلف فيه شىء ، من الجائز أننى أعرف ان هذا الولد صفته صحيحة •• وسأحكم هذه الاحكام ، لكن يمكن أن يخرج هذه المرة بالصدفة فتصدمه سيارة فينقل الى المستشفى ولا يحدث شىء مما قلته ، أقول : هذا خطأ فى علمى أنا ، لكن الحق لا خطأ عنده فى علمه ، اذا فالحق كتب قديما •• لأنه علم مايكون من عبده باختياره ، فهو لا يكتب ليلزم لان العلم صفة انكشاف وليس صفة تأثير كالقدرة •

**الاستاذ أحمد فراج :**

بعد الحديث الرائع من فضيلة الاستاذ الشيخ

محمد متولى الشعراوى تطرح هذه الاسئلة :

س ١ : مامعنى «انا هديناه السبيل اما شـاكرا واما كفورا » (١) مامعنى السبيل هنا ؟

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

الحق سبحانه وتعالى حينما قال « انا هدينـاه السبيل » فسر السبيل . « اما شاكرا واما كفورا » والسبيل هو الطريق الذى يسلكه ، اما شاكرا لانعم الله واما كفورا بأنعم الله . فهو صالح للعملبتين . وكما يقول « وهديناه النجدين » (٢) أى جعلنـاه صالحا لهذه وصالحا لهذه ، فما الذى يرجح ؟ فمادام فيه صلاحية لهذا وصلاحية لهذا ، ما الذى يرجح منهج الله من الزام نفسى به ؟ لو كنت مخلوقا لطريق واحد كنت أقول .. لا .. أنا لا أستطيع أن أذهب الى الطريق الآخر ، ولكنه هو مهدى للسبيل ، والمنتظر أمران ، اما أن يكون شاكرا واما أن يكون كفورا ،

(١) آية رقم ٣ سورة الانسان .

(٢) آية رقم ١٠ سورة البلد .

اذا فهو مخلوق صالح لان يكون شاكرا ومخلــوق صالح لان يكون كفورا وليس مخلوقا عــلى حالة تناقض الحالة الثانية .. لا .. على الاثنين . فما الذى يرجح اختياره بين البديلات ؟ لاشك أنه العقل .. اذ أن هذه من مهمته ، « وهديناه النجــدين » ثم يقـــــول « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها والنهار اذا جلاها ، والليل اذا يغشاها . والسماء وما بناها ، والارض وما طحاها . ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها » (١) .. اذا النفس صالحة لان تكون فاجرة وصالحة ، لأن تكون تقية ، هذه مخلوقيتهـــا لله ، بعد ذلك « قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها » .. أذا فما دام الامر للاثنين ، وأنت صالح أن تتجه لواحدة منهما ، فكونك تميل الى هذه الجهة أو لا تميل الى هذه الجهة ، فهذا هو محل الحساب ومحل المؤاخذة .

س ٢ : الله سبحانه وتعالى ، وهو العدل المطلق

(١) الآيات من ١ — ١٠ سورة الشمس .

هل يتناسب عقاب الانسان العاصى مع عمره كله فى معصيته ، لو قضى عمره كله فى معصيته ، هل تتناسب العقوبة فى الاخرة مع هذه المعصية ، ونحن نعلم من القرآن الكريم .. أنها خلود فى النار فى بعض الكبائر وبعض المعاصى الكبيرة ؟

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

ياسيدى الفاضل ، بالنسبة لتناسب العقوبة،أولا أنت مؤمن بالمعاقب أو غير مؤمن به ؟ هناك أولا ايمان بالمعاقب . وايمان بعدالته . فاذا كنت مؤمنا بها ، فلا يصح أبدا أن ترد الاعمال الى تشكيك فى أصل القضية ، لانك تسأل هل تتناسب العقوبة مع الذنب ؟ فهو الذى خلقك .. وقال : هذه جريمة ، وهو الذى قنن لها العقوبة ، فلا أستطيع أن أقول هل تتناسب أو لا تتناسب ؟ نعم تتناسب لان الانسان لو نظر نظرة عامة بدون ما يدرى ان هناك دنيا .. بفطرته ، هل يهتدى الى أنه هو بمفرده فى الكون أم وراء هذا الكون قوة ؟ لابد أن يكون وراء هذا الكون قوة ، فتكون عنده خيانة عظمى ، والخيانة العظمى هذه

لا تستبعد عليها عقوبة ، لان الخيانة العظمى فى ذات الايمان بوجود الحق ، فيما عدا ذلك هل هو داخل فى المغفرة أم لا ؟ الاجابة فى قول الله : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا » (١) فما دام الذنب داخلا فى قمة الكفر ، وهى الخيانة العظمى ، وفى الايمانية ، فلا يجوز أن يقال ان فى هذه عقوبة أكبر من الذنب . لانه .. « ان الشرك لظلم عظيم » (٢) ونحن نقول « لا عقوبة الا بتجريم ، ولا تجريم الا بنص » فمادام الحق سبحانه وتعالى .. نص على الجريمة ونص على العقوبة ، فليس لى أن أقول .. ان هذه العقوبة أكثر من الجريمة أو أقل .. لماذا ؟ لأنه هو الذى يحدد ذلك وليس أنا الذى أحدد . فاذا ذهبنا بعقولنا هذه لنقيس الجريمة ، نقول لك .. هناك فرق بين جريمة فى القمة وبين جريمة فى غير

---

(١) آية رقم ١١٦ سورة النساء .

(٢) آية رقم ١٣ سورة لقمان ونصها « واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابنى لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم » .

القمة .. فالجريمة التى فى ذات الحق سبحانه وتعالى ليس أكبر منهاجريمة . انها الخيانة العظمى ومادامت خيانة عظمى ، فهذه لا يقال ان عقوبتها كبيرة . أما فيما عدا ذلك فالحق ينجلى بالمغفرة حتى لا ييئس عباده .

س ٣ الآيات التى تقول « بسم الله الرحمن الرحيم ، قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا ، انه هو الغفور الرحيم» (١) لو تكرمت تشرح لنا هل الذنوب ، المقصود بها ذنوب كبائر أم صغائر ؟

## فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

كما قلنا سابقا اذا رأينا آية لابد أن نرى الآيات الاخرى ، لعلنا نجد ما يهدينا الى فهمها دون أن يقع فى أذهاننا وهم وجود الاختلاف أو التناقض ، أو مايهدينا الىمايجعلنا نقيد هذهأو نطلق هذه،آية:«قل

---

(١) آية ٥٣ من سورة الزمر

يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ، ان الله يغفر الذنوب جميعا » كلمة يغفر الذنوب جميعا هذه لا تدخل فيها الشرك ، لان الشرك ليس ذنبا ، لان الذنب أنك تفعل شيئا منصوص فى ايمانك على عقوبته ، انما الشرك هذا خيانة عظمى كما قلنا ، بدليل أن الآية الثانية تقول « ان الله لا يغفر أ نيشرك به ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء » •• فتكون « يغفر الذنوب جميعا » •• أى ما يسمى ذنوبا ، والشرك لن تسميه ذنبا ، فهو أكبر من الذنب ، لأن الذنب أن تؤمن بمنهج وبعد ذلك خالفت صاحب المنهج حين قال لك اعمل كذا ، واعمل كذا ، فيكون هناك ذنب لكن كونك لا تؤمن بصاحب المنهج نفسه ، فيكون ذلك غير داخل فى الذنب ولذلك كل المفسرين •• يقولون لك « ان الله يغفر الذنوب جميعا غير الشرك » على المفهوم أن الشرك داخل فى الذنوب ، فتقول لهم •• لا •• هو غير داخل فى الذنوب « ان الله لا يغفر ان يشرك ، ويغفر مادون ذلك لمن يشاء» بقى هذا الغفران ••

هل رتبه الحق على مجـرد المشيئة فقط أم ما هو سياق الآية ؟ قيل أن الحق رتبه « ان الله يغفـــر الذنوب جميعا » •• لكن ماذا قال « •• وأنيبوا الى ربكم ، وأسلموا له » •• أى لا تتكل على أنه سيغفر الذنوب جميعا فهو قـد قال « وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبـــل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لا تشعرون أن تقـول نفس يا حسرتا على ما فرطت فى جنب الله وان كنت لمن الساخرين »(١) ، فاذا قول الله : « ان اللـــه يغفر الذنوب جميعا » وبعدها يقول « وأنيبوا الى ربكم » •• ان كانت الانابة هى التوبة ، فتكون التوبة تجب ماقبلها ، واذا لم تتب فالآية فيها كلام فى أن الحق سبحانه وتعالى لا يغفـــرها •• لانه قال « وأنيبوا الى ربكم » فالانسان اذا لا يأخذ بظاهر الآيات الا اذا أخذها لنهايتها فآية « يا عبـادى الذين أسرفوا » •• لا تقل ان أذنبت ذنبا •• ان

---

(١) الآيات من ٥٤ ــ ٥٦ من سورة الزمر •

الذنب سيلازمك ، لكن التوبة تمحوه عنك ، الحسنات تبدل السيئة حسنة ، أما أن الانسان يسرف فى الذنوب وبعد ذلك لا يتوب ولا يتبعها بحسنات تمحوها ، وبعد ذلك يتكل على الله بالامانى ، فهذا ممنوع فى الاسلام •

س ٤ : احمد الله كثيرا ، وأصلى وأسلم على نبيه المصطفى ، شهادة ألا اله الا الله ، نعلم أنها الركن الأساسى فى الاسلام ونعلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قضى ثلاثة عشر عاما فى تحديد هذا المعنى بالذات ، فهل هى قضية كلامية أم هى تحيط الحياة بأكملها ، فأريد أن أستفسر عن هذا الموضوع ، وشكرا •

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

ان أول سورة « المنافقون » تعطيك الجواب عن هذا ، « اذا جاءك المنافقون قالوا •• نشهد انك لرسول الله » ماذا قال المنافقون ؟ « نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم أنك لرسوله » اذا قالوا كلاما الله يقول انهم قالوه •• « والله يشهد أن

المنافقين لكاذبون » (١) كاذبون فى ماذا .. فهـم يقولون « نشهد انك لرسول الله » ، فالأصل « اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول الله ، والله يعلم انك لرسوله ، والله يشهد ان المنافقين لكاذبون» فمادام الذى شهد ذلك الله فكيف يصفهم الله بأنهم كذابين ؟ هم كذابون ليس فى قولهم « انك لرسول الله » .. هم كذابون فى قولهم « نشهد أنك لرسول الله » لان ما معانى الشهادة ؟ قول باللسان يواطىء عقيـــدة القلب ، فالتكذيب ليس فى قولهم « انك لرسول الله » .. لانه رسول الله حقا ولكن فى قولهم « نشهد انك لرسول الله » .. اذا قال الانســـان بلسانه « أشهد ألا اله الا الله » ولم تواطىء قلبه فهل يكون ذلك كذابا أم غير كذب؟ نكون كـذبا فهم لا يقولون انك لرسول الله وانما قالوا « نشهد انك لرسول الله » فربنا قال لهم انكم كذابون ، فماذا ؟ فى المشهود به أم فى الشهادة ؟ أما المشهود به .. فهو رسول الله ، وهو رسول الله حقا ، والله قال :

---

(١) الآية رقم ١ من سورة المنافقون .

« والله يعلم أنك لرسوله » لكن هو كذبهم فى ماذا ؟ فى قولهم « « نشهد » لانهم قالوا ذلك بأفواههم ولم يقولوها بقلوبهم ، والشهادة المفروض فيهما أن يواطىء اللسان القلب ، هذه من ناحية عقيدتها وتيقنها من ناحية مدلولها ، كلمات تقال .. وما دمت تشهد ألا اله الا الله ، فسير كل نظام حياتك على نظام هذه الشهادة ، لا اله الا الله ، لا معبود الا الله لا خضوع الا لله ، لا تصرف الا لله ، الاسباب وان أعطت هى من فعل الله ، وان أجدت هى من فعل الله اذا لابد أن تشيع هذه العقيدة فى كل تصرفاتك ، فمعناها ان يكون اللسان فيها موافقا القلب ، وهذا من ناحية الاعتقاد واليقين ، وبعد ذلك انسحابها من ناحية السلوك العام أن تخوض نظام حركة الحياة على أنه لا اله الا الله ،فى كل مظهر من مظاهرها ، فلا غنى ولا قوى ولا حاكم ولا أى شىء له شىء غير الله ، ولذلك قد تسأل ماالذى أتعب كفار قريش فى أن يقولوها والجواب هو : علمهم بمطلوبها ، فلو كانوا عارفين أنها مجرد كلمة تقال لقالوها .

**الاستاذ احمد فراج :**

حقا لقد كانت دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم دائما : « قولوا لا اله الا الله تفلحوا » ولا يمكن أن يكون المطلوب مجرد القول ، والا لاستجابوا ولكنه كان قولا وراءه رصيد من الايمان بمعناها ومبناها ومقتضاها والتزاماتها .

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

نعم ، لم يقولوها لأنهم يعلمون مامدى التزاماتها . معنى لا اله الا الله ، أى ما هى مطلوباتها ، ولذلك لم يقولوها ، والا لو كانت المسألة سهلة لكانوا قالوها . اذا فشهادة الا اله الا الله ، لا تكون شهادة الا اذا وافق اللسان فيها القلب ، هذا من ناحية أعتقادها وبعد ذلك يجب أن تنسحب على كل حركة الحياة فى الانسان ، فلايشهد الا الله ، هو الفاعل ، وهو القادر وهو المعطى ، وهو النافع وهو الضار ، وكل أسباب الله تحت يدى الله ان شاء جعلها تعطى وان شاء لم يفعل .

# معجزات كونية صاحبت مولد الرسول

## الاستاذ أحمد فراج

ضيفنا على هذه الصفحات ـــ ان جاز التعبير ـــ هو رسول الله صلى الله عليه وســــــلم ، وما أكثر الجوانب التى يمكن أن نلتقى فيها مع هذه الشخصية الفذة ، شخصيته صلى الله عليه وسلم •• محمـــد رسول الله ، سيد الاولين والاخرين ، الذى اصطفاه الله ، وكرمه ، والذى نتوجه فى كل صـــــــلاة لله بالصلاة والسلام عليه ، صلى الله عليه وسلم ، ونحن نشعر أننا ، عندما نتحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانما نتحدث عن القرآن ، لأن خلقـــه ىو القرآن ، ولأن جوانب شخصيته من كل ناحيـــة ينا اليها هى القدوة والأسوة الحسنة ، « لقد كان م فى رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله ليوم الاخر ، وذكر الله كثيرا •• » (١)

---

(١) آية ٢١ من سورة الاحزاب •

وكثيرة هى تلك الموضوعات التى يمكن أن يتناولها أى حديث عن النبى صلى الله عليه وسلم ، ولكننا سوف نقتصر منها على جانبين أساسيين ، الأول منهما يتصل بمولده صلى الله عليه وسلم ، وبعض الامور والمعجزات الكونية التى صاحبت ذلك الميلاد ، ميلاد سيد البشرية .. صلى الله عليه وسلم .

والجانب الثانى ، يتعلق ببعثته صلى الله عليه وسلم ، وبنزول الوحى ، وبما نعرفه فى سيرته صلى الله عليه وسلم ، من فتور الوحى فترة من الزمن ، ولم يكن رسول الله عليه الصلاة والسلام قد تهيأ بعد ، فى تصورنا البشرى ، الى أن يحتمل مثل ذلك « الفترة » الطويلة التى انقطع عنه خلالها وحى السماء .

ثم .. بعض مكانة الرسول صلى الله عليه وسلم عند رب العزة ، من الموضوعات التى نرجو أن نتناولها فى هذا اللقاء ، ولعله يكون أكثر امتاعا حين يكون فى حوار مع فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى وأرجو أن أكون فى غنى عن أن نقتحم حديثه

الشائق فى لحظة من لحظات استرساله الممتع ان شاء الله ،

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

بسم الله الرحمن الرحيم ، أحمدك ربى ، واستعينك وأصلى وأسلم على خير خلقك سيدنا محمد ، أذن الخير التى استمعت واستقبلته آخر ارسال السماء لهدى الارض ، ولسان الصدق الذى بلغ عن الحق هداية الخلق ، وبعد ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمى وأكرم من أن يقيمه بشر مثله ، ولكن الذى يقدر على أن يقيمه التقييم الطبيعى لمكانه ، هو ربه الذى اصطفاه وأرسله •• « ألا يعلم من خلق ، وهو اللطيف الخبير •• » (١) واذا أردنا أن نعرض لتقييم الحق لرسوله صلى الله عليه وسلم ، وجدناه حين يخاطب جميع الرسل ، يخاطبهم بأسمائهم مباشرة •• فيقول •

---

(١) آية ١٤ من سورة الملك •

« يا آدم ان هذا عدو ولزوجك » (١) ، ويقـــول : « •• يانوح اهبط بسلام منا •• » (٢) ويقول: «فلما أتاها نودى ياموسى انى أنا ربك •• » (٣) ويقول : « يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله •• (٤) » ولكنه حينما يتوجـــــه بالخطاب الى حبيبه الاعظم صلى الله عليه وسلم ، لم يقل له •• يا محمد ، ولا يا أحمد •• وانما قـــدم بين يدى ندائه قوله ، « يا أيها النبى •• » ذلك أمر، يضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيرفعه الى أقرب المكانات من ربه • ونجد الحق سبحانه وتعالى حين يقسم على أشياء ليؤكدها ، يقسم بأشياء كثيرة من أجناس شتى ، فيقسم بالجماد ، ويقسم بالنبات ويقسم بالحيوان ، ويقسم بالملائكة ، ولكننا لم نره أقسم ببشر مطلقا ، اللهم الا برسوله صلى الله عليه

---

(١) آية ١١٧ من سورة طه •
(٢) آية ٤٨ من سورة هود •
(٣) ١١ — ١٢ من سورة طه •
(٤) آية ١١٦ من سورة المائدة •

وسلم ، حيث يقول « لعمرك أنهم لفى سـكرتهم يعمهون .. » (١) أى وحياتك .. يا محمد ، فكأن عمر رسول الله ، وحياة رسول الله ، أمر له مقـامه عند ربه ، واذا كان الناس حين يمدحون انسانا بحسن الخلق ، ونبل الصفات ، وجمـال الخلق ، فانهم يمدحونه ، لأنهم عرفوا الصفات، وقيموها ببشريتهم وتقييم البشر للأشياء خاضع لعلمهم بهذه الأشياء ، فان الحق حين يقيم الخلق ، يقيم الخلق على أرفع مستوى خلقه فى الانسان ، فيقول « .. وانك لعلى خلق عظيم .. » (٢) فحين يقول الحق سـبحانه وتعالى لرسوله « .. وانك لعلى خلق عظيم » فليس المقصود هنا الخلق المتواضع عليه عند البشر ، ولكنه الخلق المطلوب لله ، ورسول الله اجتاز هذه المنزلة ، فكان صاحب الخلق العظيم بتقييم الله العظيم .

الحق سبحانه وتعالى حين يريد هدى خلقـه ، يرسل لهم رسلا ، والرسل يأتون بمنهج الله الى

---

(١) آية ٧٢ سورة الحجر

(٢) آية ٤ سورة القلم .

الناس ، ولكن المنهـــج يقيد الناس فى حركاتهم ، والناس يألفون دائما شهوات أنفسهم ، فتطرأ عليهم الغفلة ، وحين تطرأ عليهم الغفلة ينسون شيئا من المنهج ، وحين ينسون شيئا من المنهج يأتى المجتمع لينبههم الى ذلك ، اذا فالانســـــان قد يــــكون أوابا الى ربــــه حـــين تكون نفســـه لوامه ، ولكن قد تأتى عليه فترة من الزمن ، فلا تلومه نفسه ، فعلى المجتمع حينئذ أن ينبهه الى نفسه ، وأن يعيده الى رشده ليهديه ، فاذا ما فسد المجتمع فمــاذا يكون الموقف ؟ لابد أن تتدخل السماء مرة ثانية ، لتـــأتى بالمنهج الجديد ، هذا المنهج الجديد لابد أن يكون على لسان رسول جديد بمعجزة جديدة ، ولكن الله سبحانه وتعالى ، قد شاء أن يختم الرســـالات ، برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ولم يأت نبى بعده ، اذا فالرسول صلى الله عليه وسلم هو الخاتم ، ومعنى الخاتم •• أن الله أودع فى أمتــه خصيصة ، هذه الخصيصة تقوم مقام تعدد النبوات، وتعدد الرسالات • اذا فرسول الله صلى الله عليه

وسلم هو الخاتم لرسالات السماء ، ومادام الخاتم لرسالات السماء ، فلابد أن يكون فى رسالته عناصر البقاء ، وفى أمته أيضا ، عناصر الحفــاظ على هذه الرسالات ، ولذلك يقول « .. الخير فى ، وفى أمتى الى يوم القيامة .. » ولكن الخير حين يكون محصورا فيه ، فمحمد صلى الله عليه وسلم أهل لأن يتـلقى كمالات متعددة ولكن الأمة لا يستطيع فرد منها أن يأخذ منه صفة ، وآخر يأخذ منه صفة ، وثالث يأخذ وسلم بأجمعه وكله ، ولكنه فى أمته موزع ، فواحد يأخذ منه صفه ، وآخر يأخذ منه صفه ، وثالث يأخذ منه صفة ، بحيث اذا تجمعت صفات الكمال فى أمته صلى الله عليه وسلم ، أمكن أن يكون هو النموذج الشائع فى الامة كلها .

## انسجام الانسان وأجناس الوجود :

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، جاء ليعيـــد انسجام الانسان مع الوجود ، ومعنى انســجام الانسان مع الوجود .. أن الوجود بجماده ونباته وحيوانه خاضع .. مسخر لله ، لايمكن أن يصدر

عنه شيء الا بمراد الله منه ، ولكن الانسان نفسه هو الذى جاء منه الطائع ، وجاء منه العاصى ، ولذلك يعرض الحق هذه القضية ، فى عدم انسجام الانسان مع الوجود الخاضع الساجد •• الخاشع ، يقــــول الحق « •• ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات، ومن فى الارض ، والشمس والقمر والنجــــوم ، والجبال والشجر والدواب •• » تلك هى أجنـــاس باجماع ساجدة •• خاضعة لله ، ولكنه حين جاء عند الانسان لم يأت ذلك الاجماع ، فقال « •• وكثير من الناس وكثير حق عليه العــذاب •• » (١) وكان من المفروض أن ينسجم الانسان مع الوجــــود كله ، فيكون خاضعا لمنهج الله ، كما أن الوجود كله خاضع لمنهج الله ، والوجود الخاضع لمنهج الله يحب الانسان الخاضع لمنهج الله ، ويأتلف معه ، وينسجم معه ، ولاينجم شيء من الوجود مع الانسان الطــائع أما الانسان العاصى ، فهو يشكل شقاقا بينـــــه ، وبين

(١) آية ١٨ من سورة الحج •

أجناس الوجود ، وجود مسبح •• وجود ساجد ، وجود خاشع ، وانسان متمرد عاصى •

## هل يفرح الوجود بالانسان

حين يأذن الله سبحانه وتعالى ليعيد للانسان بمنهج الله انسجامه مع الوجود ، فلا بدعة اذا أن يفرح ذلك الوجود بمن يعيد اليه انسجام الانسان معه ، وذلك هو الشأن معه صلى الله عليه وسلم ، جاء ليعيد انسجام الانسان مع الوجود كله ، ليأتى بالمنهج النهائى لهدى الانسان ، ليكون الانسان خاضعا كبقية أجناس الكون لله سبحانه وتعالى ، اذا فلا عجب أن يفرح به الوجود ، لا عجب أن يفرح به الجماد ، ولا عجب أن يفرح به النبات ولا عجب أن يفرح به الحيوان ، ولا عجب أن تفرح به الملائكة ، ولا عجب أن يفرح به طائع الجن ، اذا ، فاذا حدثنا •• أن ميلاده صلى الله عليه وسلم قد قرن باشياء حدثت فى الكون •• من ارهاصات فى الوجود كله بميلاده ، فيجب علينا ألا

نستبعد ذلك ، لأنه هو الرسول الذى يعيد للانسان انسجامه مع الوجود كله ، والوجود كله كما نعرفه ، ليست فيه الحياة التى نعرفها فى نفوسنا ، ولكن له حياة وله تعقــل فى التلقى عن الله ، وله فرح ، وله حزن • وقد شاء الحق سبحانه وتعالى أن يعرض لنا هذه القضية عرضا اجماليا ، لنعرف أن الكون كله عبد لله ، وخاضع له ، فقال « •• وان من شىء الا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم •• (١) » اذا « ان من شىء » أى كل شىء فى الوجود مسبح ، ولكننا ألفنا التسبيح بألفاظ ، وألفنا التسبيح بلغة ، فلما لم نسمع من الكون ألفاظا ، ولما لم نســمع من الكون لغة ، قال بعض العلمــــاء •• انــه تسبيح الدلالة عــــلى وجــــود الله ، وعلى وحدانيته ، نقـــول لهم مرحبا ، له أيضــــا تسبيح الدلالة ، ولكن ذلك لا يمنــــع من التســـبيح الحقيقى ، لأنه ان كان تسبيح دلالة كما تقولون ، فالحق قال:

---

(١) آية ٤٤ من سورة الاسراء •
(٢) آية ١٠ من سورة سبأ •

« •• ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وأنتم قد فقهتموه، اذا فهو غيره ، والذى يدل على ذلك أن الحق سبحانه وتعالى عرض من أجناس الوجود أشياء ، وجعلهـا تشترك أيضا مع الانسان فيقول فى شأن داود « •• يا جبال أوبى معـــه •• » ومعنى أوبى •• رجعى تسبيح الله ، أى يجب أن يوافق ترجيعك ياجبـال ترجيع داود •• « وسخرنا مع داود الجبـــال يسبحن •• » (١) والجبال مسبحة مع داود ، ومع غير داود ، ولكن الأمر •• أن يتفق تسبيح الجبال مع تسبيح داود ليكون كأنه عرس توحيدى فى الكون ، وأيضا الحق سبحانه وتعالى يعرض لنا •• أن لجميع الأجناس منطقا ، ولها لغة ، جهلنا بها •• هو الذى جعلنا لا نفقهها ، فاذا علم الله انسانا من خلقه لغة هذه الأشياء ، أمكنه أن يفقه تسبيحها ، وأن يفقـه منطقها ، اقرأوا ان شئتم قول الله « •• قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لايحطمنكم سليمان

---

(١) آية ٧٩ من سورة الانبياء .

وجنوده وهم لا يشعرون » (١) قالت •• وسمعها سليمان ، وحمد الله على أن أنعم عليه بأن فهم لغة النملة ، قد يقال ان تلك أمور تعلمتها النملة ، لتحافظ على نوعها ، بدليل « لا يحطمنكم سليمان وجنوده » فهى تحافظ على بقاء النوع ، نقول له •• لا ، حينما عرض الحق أيضا ، قصة هدهد سليمان ، فماذا قال الهدهد ، لقد قال « •• وجئتك من سبأ •• بنبأ يقين ، انى وجدت امرأة تملكهم ، وأوتيت من كل شيء ، ولها عرش عظيم» (٢) •• هذا كلام الخبر ، ولكن الذى يهمنا فى قضية العقيدة والتوحيد ، وأنها أمر سائر فى كل أجناس الكون ، أن يقول الهدهد « وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله » (٣) هذا ما حز فى نفس الهدهد •• أن يسجدوا للشمس من دون الله ، اذا فالهدهد يعرف من يجب أن يسبح •• من يجب أن يسجد له

---

(١) آية ١٨ من سورة النمل •
(٢) آية ٢٣ من سورة النمل •
(٣) آية ٢٤ من سورة النمل •

« ألا يسجدوا لله ، الذى يخـــــرج الخبء فى السموات والأرض .. » (١) .

اذا فاذا عرضت لنا السيرة ، أن أشياء من الكون فرحت برسول الله ، وحدثت أشياء منها ، فذلك أمر لا نستبعده على كون مسبح لله ، عارف بحق الله . وأيضا ، لسنا نحن المطلوبين بأن نؤمن بهذا ، ولكن الذين آمنوا ، هم الذين شاهدوها ، هم الذين سمعوها فالذين سمعوها ، حجة على أنفسهم ، ونحن نتلقى عنهم الخبر ، فان كنا موثقين لهم فى الخبر ، صدقناه ، وأن لم يتســـع ظننا لتوثيق الخبر ، فنحن أحـــرار فى أن نصدق ، أو .. لانصــــدق ، ولكن منطق الاشـــياء ، ومنطق الوجود ، لايحيل وجود شىء من ذلك . فاذا حدثنا ، أن ايوان كسرى قد شق ، فماذا فى ذلك؟ وما فى ذلك من العجب !! أنستبعد أن يوقت شق الايوان بالميلاد ، أنستبعد على الله أن يخمد نار فارس ، وأن يوقتها مع الميلاد ، أنستبعد على الله ، أن يوقت أن تغيض بحيرة ساوة مع الميلاد ، لماذا هذا ؟ اذا ،

---

(١) آية ٢٥ من سورة النمل .

فالقرآن حين يعرض لهذه القضية ، يعرض لما حدث فى الكون فى عام الفيل .

## حفظ المبنى والمعنى :

فى عام الفيل ، نعلم أن قوما جاءوا ليهدموا بيت الله ، وبيت الله هو الذى اختاره الله لنفسه ، وحوله ونحوه نلتف جميعا فى الصلاة ، هذا البيت له قالب ، هذا القالب أريد به ضر وهدم ، فلماذا لا نفهم أن الحق سبحانه وتعالى ، حافظ على مبنى البيت فى ذلك العام ، وأوجد فيه الشخص الذى يحافظ على معناه فى ذلك العام ، فتكون المحافظة على المبنى ، بمنع أبرهة من هدمه ، هى عينها المحافظة على بقائه لربه ، بميلاد محمد صلى الله عليه وسلم ، وإذا كان الحق قد عرض لنا هذه القضية ، فإنه قد عرضها عرضا عجيبا ، هذا العرض العجيب ، يتجلى فى قوله « .. ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم فى تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول »[1] .

---

(١) سورة الفيل .

ورسول الله لم ير وقتها ، ولكنه علم بالقضية من اللـــه ، هنا نلتفت لفته هامة ، هذه اللفتة ، هى لماذا عبر الله بـــ •• ألم تر •• فى مقام «ألم تعلم»؟ لأن العلم اذا كان بواسطة الاخبار من اللـــه ، فيجب أن يستقبله المؤمن بالله ، استقباله لما يرى ، ولما يحدث، فليس خبرا عن غيب ، فكأن ما يقوله الحق فى « ألم تـــر » •• أى ألم تعلم •• وكأن الحق يقول : اننى أقول لك ، واذا قلت لك ، فأنا عينـــك ، وكأنك ترى ذلك ، ويقول الحق • « •• ألم تر كيف فعل ربك »•• ومعنى الاضافة هنا ، تدل على أن المســألة متعلقة بمحمد صلى الله وسلم ، فعل ربك ، والرب ، تفيـــد التربية ، والكمـــــال والبلوغ بالمربى الى مرتبـــــة الكمال ، فما دام فعل ربك ، فيكون لمحمد صلى الله عليه وسلم علاقة بالمحافظة على ذلك البيت • وبعد ذلك حين عرض القضية ، عرضها العرض الذى نعلمه حيث أرسل عليهم طيرا أبابيل « ترميهم بحجارة من سجيل » •• هنا وقف بعض العلماء وقفة ، وأنا أحب هنا •• أن أصفى هذه الوقفة •• اننا قد أتهمنا بأن ديننا لا يتمشى مع العقل ، اتهمنـــا هذه التهمة من

المستشرقين ، ولــكن المستشرقين حـــين يلقون هذه التهمة ، يحبون أن يدخلوا منهـــا الى منفذ خطـــير يهدمون به الاسلام ، فقام قوم من الغيورين عـــلى الاسلام ، وقالوا : الاسلام فى كل قضاياهمتمشى مع العقل .. فجاءوا الى كل مايتصل بالغيب الذى يقف فيه العقـــل ، وحاولوا تأويله تأويلا يرضى العقل ، حتى يدفعـــوا التهمـــة عن الدين بأنه لايتمشى مـــع العقل ، وعلى رأسهم علماء كبار ، ومدارس عقلانية ، لها مذاهب شتى ، وجاءوا فى هذه الحـــادثة التى عاصرت ميلاده صلى الله عليه وسلم ، فماذا قالوا ؟ قالوا ان الطير الأبابيل التى ترميهم بحـــجارة من سجيل ، هى الميكروبات ، ميكروبات أرسلها الله على ذلك الجيش ، لماذا ؟ ليقربوا المســـألة الى أذهان الناس ، حتى لايتهم الاســـلام بأنه يأتى بأشـــياء لاتطابق العقل ، نقول لهم .. أنتم مشكورون عـــلى غيرتكم فى أن تدخلوا بعض قضايا الغيب فى الاسلام الى مرتبة العقل ، ولكن الأديان لا تناقش هـــذه المناقشة ، لأن الدين ، انما يناقش بالعقل فى قمتـــه

الأساسية ، وهى قمة الايمـــان بالله ، ادخل على الايمان بالله بعقلك ، أنت حـــــر فى أن تؤمن أو .. لا تؤمن . ولكن اذا دخلت على الايمان بالله بعقلك وفرغت من هذه القضـــــية وصولا للايمـــــــان .. فتقبل بعد ذلك عن اللـــه كـــل ما يقـــــول ، ولاتدخل عقلك فى كل جزئية مما يقول ، لماذا ؟ لأنك ان أدخلت عقلك فى كل جزئية مما يقول ، فقد رجعت فى قضيتك الاولى ، اذا فاحتراما لعقلك ، مادمت قد آمنت باللـــه ، فيجب أن يكون عمل عقلك هو فى توثيق النقل عن اللـــه ، أقال اللـــه ذلك .. أم لـــم يقله ؟ فاذا كانت المسألة كما يريد العقلانيون أن يفسروها، وهـــو أنه ميكروب ، أو طير يحمـــل حجارة فيهـــا ميكروب ، نقول لهم : حدث الفيل ، حدث عـــام ميلاده صلى الله عليه وسلم ، ورسول الله بعث على رأس الاربعين ، ولاشك أن قوما من الذين عاصروا رسالة رســـول اللـــــه ، كان منهم البعض فى سن الستين ومنهم من فى السبعين ، وهناك الذين سنهم ثمانون سنة ، اذا فقد كانوا فى عام الفيـــل فى سن

العشرين ، وفى سن الثلاثين ، وفى سن الاربعين ، اذا فقد شاهدوا الحدث ، وهم لم يعرفوا الميكروب، ولم يعرفوا شيئا عنه ، فلو أن القصة التى رآها هؤلاء عام الفيل ، تعارض أى جزئية من جزئيات القرآن التى قالها ، طير ، وأبابيل ، وترمى بحجارة من سجيل ، وتجعلهم كعصف مأكول ، لكان من الميسور على المكذبين أن يقولوا : أرأيتم انه يقول مالم يحدث .. وكان من الميسور أن يكذبوا الامر ، اذا فالمسألة حدثت كما قصها القرآن ، وكما يفهمها العربى — من طير أبابيل ترمى بحجارة من سجيل ، تجعلهم كعصف مأكول وهب أنك جئت بالميكروب ، فلماذا تأتى به ، آلتسهلها على الله ؟ بالقطع لا ، نقول له « وحتى اذا كنا نصدقك فى الميكروب ، فما ذلك الطير العاقل ، والميكروب الموجه ، الذى لايتوجه الا الى أعداء الكعبة ، يختار قوما دون قوم ، فيلقى عليهم ميكروبا، وما ذلك الميكروب الذى يفعل فعل السحر ، فى أنه

بمجــرد أن يلقى ، يفتك بالجسم فيجعله كعصف مأكول ، بدلالة « الفـــاء » « ترميهم بحجــار من سجيل ، فــ .. جعلهم » وهــذه الفــاء للترتيب والتعقيب ، والميكروب اذا دخل جســما ، فلابد له من فترة طويلة من حضانة ، ثم فترة طويلة من فتك، ثم فترة طويلة بعد ذلك يرم الجســم وينتن ، واذا رم وأنتن ، فبعد ذلك يتمزق ، فمــا ذلك الميكروب السريع العادل ، الذى اذا نزل جعــل الجسم كأنه عصف مأكول ، اذا ، فسواء قلت ميكروب ، أو غــير ميكروب ، فيد السماء ، وفعل الله متجلى فى كل شيء ، ولو كان فى الميكروب كما تقول ، ويجب أن نتنبه دائما الى أن الحق سبحانه وتعالى حين يعرض أمرا من الامور ، فيقول « فعل ربك » ، فهذا يعنى أنه يجب كما قلنا أن تطوح قوانينك ؛ لأن الذى فعل هو ربك ، ومادام « فعل ربك » فلا تأتى بالقوانين التى فى عرفك هى الفاعلة ، اذا ، « فعل ربك » فهذا يعنى أنه يجب كمــا قلنا أن تطرح قوانينك وتلغى عقلك .. انتهت المسألة ، والغاء عقلك هذا ، ثقة فى

من قال ، ومادام الامر ثقة فى من قال ، فـــلا يهم ما اذا تحملها عقلى أم لم يتحملها ، لأن الايمـــان يتحمـــــل كـــل شىء ، ولذلك قال بعض العارفين « .. العقل كالمطية ، يوصـــلك الى باب السلطان ، ولكن لايدخل معك عليه » .

## الاستاذ احمـــد فـــراج :

الحقيقة أننى أرجو أن يكون كلام فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى فى هذه النقطة قد أجاب عـــلى كثـــير .. وأريد أن أقـــول ان هنـــاك بعض الخواطر التى تخطر على قلوب أو عقول كثـــير من الناس ، عندما يقرأون فى كتب السيرة ، أنه حدث فى عام مولد الرسول عليه الصلاة السلام أن انشق ايوان كسرى ، وغاض ماء بحيرة ساوة ، وخمدت نار فارس .. الخ ، فنجد أن البعض يرددها بأسلوب التأدب مع سيرته صـــلى اللـــه عليه وسلم ، ولكنه لايتعرض لها بالنفى أو بالتأييد وان كان ينطوى على ميل أقرب للرفض وربما ذهب بعض الناس الذين لايريدون اثبات هذه الظواهر أو المعجزات الكونية،

الى أن الرسول عليه الصلاة والسلام ليس فى حاجة الى مثل هذه المعجزات الكونية لكى نتحدث عنها ، وكأنما نعتــذر أو نبحث عن المبررات لنفى هــذه الروايات بصورة أو بأخرى ، أما وقد وضح لنا من حديث فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى ، أن الرسول عليه الصلاه والسلام ، وهو يعيد انسجام الانسان مع الكون الساجد ، وأن كل ما فى هذا الكون انما يسجد ويسبح للـــه ، غير أن الجنس الانسانى هو الذى يشذ عن الاجماع فى الخضوع والسجود للـــه ، فان مثل هذه الظواهر الكونية ، المخلوقة لله تبارك وتعالى ، ليس مستبعدا فى ميزان الايمـــان ، أن تفرح ، وأن تبتهج بمثل هذا المولد ، مولــــــد الانسان الاعظم ، عليه الصلاة والسلام ، الذى جاء ليعيد الانسانية الى رشدها ، ويضع أقدامها على الطريق السوية التى تصل بها الى الايمان الحق ، والتوحيد الحق ، ولعل حديث فضيلة الاستاذ الشيخ الشعراوى أن يغرينى باستطرادة لم تكن فى الذهن تتصل ببعض المعجزات التى رويت فى عصر البعثة ،

فى عهدالنبوة .. بعد أن بعث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ومنها على سبيـل المثال لا الحصر ، أن الماء تفجر من بين أصابع رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم ، وأن الرسول عليه الصلاة والسـلام عندما ترك مكانه الذى كان يخطب فيه .. فى مسجده صلى اللـه عليه وسلم ، سمع صـوت الجذع يئن شوقا وحنينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحب أن أطرح هذه المعجزات على سبيل المثـال ، ونحب أن نعرف رأى فضيلة الشيخ الشعراوى .

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

قبل أن أجيب على هذا التساؤل ، أحب أن أنبه الأذهان ، الى أننا حين نقرأ كتاب الله ، يجب أن نقرأ كتاب الله ، على أنه كلام اللـه ، وكلام الله ، معناه أن له ايحاءات ، لافى كـل جملة ، ولافى كـل لفظ ، ولا فى كل حـرف ، الايحاءات تأتى ، بيقين الايمان ، وشفافية الروح المستقبلة للقرآن ، فاذا ما أستقبل الانسان ، أطلعه الله على بعض كنـوز ذلك ، الانسان فى اعراف الناس ، هو الجنس الوحيد

الذى يتميز بالعاطفة ، والعاطفـــة هى الشىء الذى يفرح والشىء الذى يحزن ، والشىء الذى يجـــد والشىء الذى يبكى الانسان اذا حزن ، ويضحكه اذا فرح ، فهذه ظاهرة خاصة بالانسان ، آتيـــة من العواطف التى فيه ...

حينما تكلم القرآن عن قوم فرعون ، وأن الله أخرجهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين .. كذلك وأورثناها قوما آخرين، يقول الحق « .. فما بكت عليهم السماء والأرض » (١) فما بكت ؟ كأن السماء تبكى ؟ نعم ، هذا البكاء فرع العاطفة ، ومادامت السماء والارض تبكى ، أفيكون عندها عاطفة ؟ لماذا تبكى السماء والارض ؟ ولماذا لا تبكى على قوم فرعون ؟ لانهم قوم كانوا غير منسجمين معها فى قضية الخضوع للحق ، فلذلك لم تبك عليهم ، فاذا جئنا بالنقيض أو المقابل ، لوجدنا القوم الذين على ضد مسلك قوم فرعون ، اذا ماتوا

---

(١) آية ٢٩ من سورة الدخان .

أو ذاهبوا ، تبكي عليهم السموات والارض ، اذا فما بكت عليهم السماء ، كأنها تبكى على قوم ، نعم ، ولذلك لما سئل الامام على عن هذا ، قال « .. اذا مات المؤمن ، بكى عليه موضعان ، موضع فى الارض وموضع فى السماء ، أما موضعه فى الارض ، فموضع مصلاه ، لأنه فقد الذاكر ، فقد المسبح ، فقد المنسجم معه فى الخضوع لربه ، لم يعد يسمع ذلك منه ، فكيف لا يبكى ، وبكى عليه موضع من السماء أيضا ، وهو مصعد عمله الطيب ، فلم يعد ذلك المصعد يستقبل عملا طيبا ، فكأن للارض وللجماد احساسا بالعابد ، ولذلك قديما .. كنا نسمع فى اللغة .. فلان نبا به المكان ، نبا .. به المكان .. أى كره اقامته فيه ، لماذا كره اقامته فيه ؟ لأنه غير منسجم التصرف مع الوجود كله ، فهو يكرهه ، والمكان الذى يكره ، فاذا كان المكان منسجما معه ، فلا ينبو .. به ، بل يفرح به ويؤنسه ، اذا فما دامت السموات والارض لها العواطف التى تبكى ، ولا تبكى ، اذا فلا نستبعد أبدا أن يكون الوجود قد استقبل ميلاده صلى الله عليه

وسلم بفرحة ، بفرحة ابتهاج يعيد الانســــان الى انسجامه مع ذلك الكون •

أما مسألة المعجزات الكونية ، فالمعجزات أمــور خارقة ، ومعنى أمور خارقة •• أنها غير خاضــمة لناموس الكون ، ولا لقانون الوجــود ، الكون له قانون يسير عليه ، فاذا ما جاء أمر خــــارج ذلك القانون ، فنقول أن هنــــاك حادثة جاءت وخرقت القانون وما دامت خرقت القانون فنتســـاءل كيف يخرق القانون ، بديهى أنه لا يمكن أن يخرق القانون الا خالق الحق ســـبحانه وتعالى ، أن الانســـان أطلق القانون ، فلا يملك أن يتحم فيه ، فاذا كان يملك أن يطلق القانون أو •• لا يطلقه ، ولكنه اذا اطلق القانون ، فلا يملك أن يتحكم فيـــه فاذا كان هناك انسان يجيد أن يصيب الهدف ، ومعه بندقيـــة سليمة ، وفيها الرصاصة وهو يحسن التصويب ، فان له أن يصوب ويطلق أو •• لا يصوب ولا يطلق ، هو مختار فى هذا ، ولكنه حين يصع يده على الزناد ، طلق الرصاصة على الهدف ، وهو يجيد التصويب ،

فلا يستطيع أن يتحكم فى الرصاصة ، ليقول لهـــا « يا رصاصة لا تصيبى الهدف » .. فقد خـــرج القانون من يده . ولكن الحق يطلق القانون ، ويقول للقانون « قف ولا تفعل » اذا فالمعجزات هى خرق لنواميس الكون ، وخرق لقوانين الوجود ، تدلنى على أن الذى فعل ذلك ، هو الذى خلق الناموس ، وخلق الوجود ، وخلق قوانين الوجود ، ولكن هذا الخرق ان كان أمرا ماديا ، يحدث مرة واحدة ، فاذا حدثنا أن معجزات الرسل كانت كذا ، وكانت كونية كلها ، كعود الثقاب ، تشعل مرة واحدة ، وأصبحت خبرا لا سبيل الى تصديقه الا بالنقل المتواتر عن الصادقين الثقاة الذين يستحيل تواطؤهم على الكذب ، ولكن اذا حدثنا عنها القرآن ، فنقول ، نعم الآن نصدق، لأن القرآن ـــ وهو أقوى وأثبت وثيقة ـــ قد حديثنا لكن لا بقاء لتلك المعجزات ، ورسول الله كما قلنـــا امتاز بمعجزة أخرى باقية ، ليست مرة واحـــدة ، ولكنها باقية الى أن تقوم الساعة وهى القرآن ، محمد رسول ـــ وتلك معجزته ، وهى القرآن ، لكن

هل معنى ذلك أن رسول الله حرم من معجزات كونية يراها المعاصرون له ، كما أعطى أصحابه الرسل ؟ لا. محمد رسول الله ، أعطاه الله المعجزات الكونية التى أعطاها لاخوانه الرسل ، ثم تميز بمعجزة أخـرى باقية ، اذا فمجيء المعجزات الكونية على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم تسـوية له باخوانه من الرسل ، ومجيء المعجزة الباقية ، هى زيادة مكانته ، ومقامه على الرسل ، فاذا كان التاريخ والسـيرة تحدثنا بأن معجزات حدثت ، كما قال أخى أحمـد فراج ، كحنين الجذع ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وكاشباع جيش أو عدد كبير بحفنات من طعام وغير هذا ، اذا حدثنا بذلك نقول للمسـلم : اسـتقبلها بماياتى ، أولا لست أنت أيها الغائب عـن المعجزة المقصود بهذه المعجزة ، وانما المقصود بهذه هو من رآها ، لانهم كانوا فى بداية الاسلام ، وفى حاجة الى تثبيت ، وهذا التثبيت يحدث فى فترات ، القـوم الذين شاهدوا هذا .. شاهدوا أن ماء نبع من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم ، أيمكن أن نقول لهم

لا لم ينبع ، لا •• فهو قد نبع ، والمرادتثبيت يقينهم هم ، أما أنا ، فالقرآن كافيني حقا ، لكن هؤلاء اذا حدثونا بأخبار ــ كما وصلنا الحديث ــ فلماذا أسنع ذلك ، واخوانه صلى الله عليه وسلم ، حدثت لهــم معجزات من هذا النوع ؟ فكيف أبيح للأعلى مــن الرسل الا يكون عنده ما عند بقية الرسل من مثل هذه المعجزات ، اذا فرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثت له معجزات كونية وهذه المعجزات الكونية ، كان المقصود منها •• تثبيت ايمان من رآها ، وقد أدت مهمتها ، ثم بقيت بعد ذلك خاضعة ، فمن اتسع ظنه بمكان محمد من ربه ، ومن اتسع ظنه بصــدق الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليتسع ذهنه لذلك ، ومن لم يتسع ذهنه لذلك ، ففى القرآن غناء •• أى غناء •

**الاستاذ أحمد فراج :**

الحقيقة سننتقل نقلة أخرى الى الموضوع الذى أثرناه فى بداية الحوار عن نزول الوحى على الرسول عليه الصلاة والسلام ، ونحن نعــرف أنه بعد بدء

نزول القرآن ، مضت فترة تسمى فى السيرة ، فتور الوحى ، أو فترة الوحى ، فقـــد ظل جبريل فترة طويلة لا يتنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر ربه •

وربما يثور فى ذهن أى منا ــ بمقياسنا البشرى ــ أن مجرد نزول الوحى على رسول الله صـلى الله عليهوسلم لايجعله، وهو فى بداية العهد بالنبوة ،فى وضع يسمح له بتحمل انقطاع الوحى فترة ، كالتى طال توقف الوحى خلالها ، وربما ــ بمقياسنا البشرى أيضا نقول ــ انه كان ممكنا أن ينـــزل الوحى مرة واثنتين وثلاث الى أن يثبت الرسول ــ بل نكاد نقول يتثبت ــ وبعد ذلك يمتحن اذا كان المقصـــود بفتور الوحى ،هو المتحان أو كان المقصود غير ذلك، لكن الذى حدث ، والصورة التى أمامنا ، والموقف الذى نعرفه ، أنه بعد بداية النزول ، فتر اوحى ، فما هو تحليل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى لهذه المسألة ، وفهمه لها ، وخاصة أن القرآن كان له

تصوير فيها •• « ماودعك ربك ، وما قلى » (١) •
ونرجو في الشرح أن تكون معنا سورة « الضحى » •

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

معنى الوحى ، اعلام بخفاء ، أى بطريقة مستورة اعلام « بخفاء » •• أى ليس بوضوح ، هذا الوحى يأخذ معانى متعددة ، يأتى الوحى من الله لكل أجناس الكون •• « يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها » (٢) •• أوحى للارض ، ثم أوحى للنبات ، وأوحى للحيوان •• « وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » (٣) •• وأوحى الله الى الملائكة •• « اذ يوحى ربك الى الملائكة أنى معكم فثبتوا الذين آمنوا » (٤) وأوحى الله الى الرسل والانبياء ، وأوحى الله الى

---

(١) آية ٣ من سورة الضحى •
(٢) آية ٤ – ٥ من سورة الزلزلة •
(٣) آية ٦٨ من النحل •
(٤) آية ١٢ من سورة الانفال •

بعض الصالحين .. « واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرســــولى » (١) .. اذا مرة يطلق الوحى ، فيرادبه الاعلام بخفاء ، من أى معلم ، لأن الشياطين أيضا لهم وحى .. « وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم » (٢) لكن اذا اطلقت كلمه الوحى — انصرفت الى الوحى من الله الى الرسول، وكل أنواع الوحى الاخرى انتهت ، والوحى من الله الى الرسول ، يحدده الحق سبحانه وتعالى فى ثلاث وسائل ، الوسيلة الاولى ، أن يقذف فى قلبه المعنى الدقيق فى خاطره ، الوسيلة الثانية أن يكلمه من وراء حجاب ، الوسيلة الثالثة ، أن يرسل رسوله وهـــو جبريل فيوحى باذنه مايشاء ، « وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا .. » الهـــاما يقذفه فى القلب « أو من وراء حجاب ، أو يرسل رسولا ، فيوحى باذنه ما يشاء » (٣) الرسول صلى الله عليه وسلم أوحى اليه بهذه الطرق الثلاث ، أوحى اليه بأن

---

(١) آية ١١١ من سورة المائدة .

(٢) آية ١٢١ من سورة الانعام .

(٣) آية ٥١ من سورة الشورى

قذف فى روعه ، هذا هو الأول ، وأوحى اليه بأن الله كلمه حينما فرض عليه الصلاة ، وأوحى اليه بواسطة الملك يرسله له . الا أن القرآن لم يثبت الا بالطريق الاخير . الذى هو عن طريق الملك ، لماذا ، لان القذف فى الروع ، قد يتهم الانسان معه بأنه خاطر بشرى واذا كان كلاما من وراء حجاب ، فربما يقال ان شيئا تمثل له ، انما حين يأتى ملك رسول ويختلط بالبشر ، ويحدث فى تكوينه صلى الله عليه وسلم انفعال كيماوى خاص ، بحيث يرتعد ، ويرتعش ، ويثقل بحيث اذا كان على دابة بركت به مثلا فهذه ظاهرة كيماوية فى نفسه ، فاذا جاءت هذه الظاهرة بذلك الشكل ، فلاشك أنه أمر غير عادى ، فكان الوحى على رسول الله بهذه المثابة ، فاذا كان الوحى التقاء ملك — والملك له طبيعة — ببشر — والبشر له طبيعة — ومادامت الطبيعة النورانية الملكية ستلتقى بالبشرية ، فلا مناص من أمرين ، اما أن تتحول الملكية الى بشرية ، وتبقى البشرية على حالها ، وذلك ما كان يحدث ، حين يتشكل جبريل بصورة انسان ، فيأتى ،

فيسأل رسول الله ، فيجيبه وبعد ذلك يقول •• هذا جبريل جاءكم يعلمكم أمور دينكم ، وفى ذلك ليس هناك اجهاد على رسول الله ، لان رسول الله فى بشريته العادية ،وفى انسجامه التكوينى والكيماوى، واما أن يحدث •• بأن ينتقل الرسول من بشريته الى ملكية تستقبل عن الملك •

هذا التفاعل الذى يحدث ، تكون له آثار عضوية فى نفسه •• وان جبينه ليتفصد عرقا فى الليلة شديدة البرد •

اذا فالعملية كيماوية فى نفسه ، ويسمع صلصلة الجرس ايذانا بالوحى ، ويسمع أصحابه حول رأسه، دويا كدوى النحل ، ويرتعش ، اذا هذا التفاعل ، يدل على أن محمدا يعالج انفصالا من البشرية ، حتى يستطيع أن تكون فيه روحانية ، أهل للتلقى عن الملك ، فاذا ما انفصل عنه الملك ، عاد الى بشريته ، انما عاد مجهدا بدليل أنه قال •• « زملونى •• دثرونى » ويقول حين وصف صلى الله عليه وسلم لقاءه الاول مع جبريل عليه الصلاة السلام « غطنى

حتى بلـــغ منى الجهـد » اذا فهذه عمليـــة كان من الصـــعب جدا على مادية رســـول الله ، وعـــلى بشريته أن يســـتقبل الملك بهـــذه الصـــورة ، الصـورة الاندماجية التى تحدث بأن يكون التحول فى كيماوية رسول الله وبشريته ليلتقى بالملك ، ثم ينفصم الملك عنه فيعود ، فتكون عمليـــة مقلقة •• متعبة • ولكن الانسان منا حين يتعب فى أمر من الامور ، ويرتاح بعد التعب ، وتبقى له لذة ما ظفر به وقت التعب ، فان نفسه تحدثه بأنه ، ياليت هذا التعب يأتى مرة ثانية ، فتهون عليه المشقات ، اذا فالشوق فى ناحية المستقبل ، هو الذى يعينه على أن يفتر الوحى عن رسول الله •

تحمل صعاب الخطوة ناحية الاستقبال ، فكان ولابد

• لتبقى حلاوة الوحى •

ولتزول متاعب الوحى •• فيتشوق رسول اللهالى الوحى من جديد ، وحين ينشوق رسول الله ، فان هذا الشوق يعطيه طاقة جديدة فى استقبال هـذا المرتقب ، فاذا ما استقبل هذا التعب بعد ذلك ، لم

نجد الصورة التى ذكروها ، لم نجد الالم ، لم نجده بعد كل وحى يقول « .. زملونى ، ولادثرونى .. » لماذا ؟ لانه اشتاق بطبيعته الى أن يأتى ذلك الوحى. طبيعة هذا الشوق ، تجعله يتغلب ، وينسى متاعبه المادية ، اذا فرسول الله عليه الصلاة والسلام حين فتر عنه الوحى ، انما كان ليرفع الله عنه ما أتعبه من المادية التى كانت تتحول فتعد لتتلقى عن الملك. فحينما يهدأ ويسكن وتبقى حلاوة الوحى فى نفسه . فانه يصبح هو نفسه الذى يشتاق الى الوحى ، واذا ما اشتاق الى الوحى ، أصبحت عنده طاقة ، وهــذه الطاقة تجعله لا يعترف بأى متاعب ، ومادام لايعترف تاعب ، فهو يستقبل الشىء استقبال المشوق

المجيب مسلك الكفار حين فتر الوحى ، فقد ، يكذبونه فى أنه مبلغ عن ربه ، ولما فتر الوحى ، لوا ان رب محمد قد قلاه ، لماذا اعتبروا آنذاك أن لمحمد ربا ؟

ساعة الهجر اعتبروا أن له ربا ، وساعة الوصل.

كانوا يقولون « .. لا .. انه كذاب .. » لماذا ؟ لان هذا يشبع حسدهم ويشبع حقدهم ، فالحق سبحانه وتعالى شاء أن يردعلى ذلك ، ردا كونيا ردا بشيء متفق عليه ، هذا المتفق عليه يستهله بقـــوله « .. والضحى والليل ، اذا سجى ، ماودعك ربك ، وماقلى» ونجد هنا قسما :

« والضحى ، والليل اذا سجى » .

حين يقسم الحق بالضحى والليل اذا سجى ، فقد أقسم بمتقابلين ، ضحوة وليل ، والضحوة محـــل الكدح ، كدح العمل والتعب والنصب ، والليل مكان السكون والراحة ، فكأن الحق يلفت الى قضـــية وجودية ، هذه القضية الوجودية ، هى أننـــا فى الأحوال العادية نتعب نهارا فى ضحانا ، ويأتى الليل فنحتاج الى أن نسكن ، والى أن نرتاح ، اذا فالسكون هو الراحة من كل أمر مجهد .. أمر طبيعى ، وليس مجىء الليل بعد الضحى معناه ، أن الضحى لايأتى ، ولكن معناه .. أننا نهدأ ، ونسكن لنستقبل ضحى الغد بنشاط ، لنستقبله بحيوية ، فيقول .. الآيـــة

الكونية موجودة ، « والضحى ، والليل اذا سجى ما ودعك ربك ، وما قلى •• » وتجد هنا العبارة المنبثة بجمال الأداء فى الأسلوب من الله لمحمد « •• مـا ودعك » تجد هنا الضمير يعود على محمد •• فعل • «ماودعك •• » لأن التوديع قد يكون للحبيب ، ودعت حبيبك وسافر ، ولكن القلى لايكون الا لعدو ، فلما جاء — ولو مع النفى — قال «ماودعك» ولم يقل، وماقلاك •• بل : «وما قلى» فقط ، ولم « ولم يقل، بالكاف ، حتى مع النفس ، فكأنه مع التوديع ، جاء بالضمـــير ، ومع القلى لم يأت بالضمير — فكأنه يقول « •• يا من تقولون ، أن رب محمد قد قلاه أنتم مخطئون ، لأنكم لم تلتفتوا الى مظاهر الكون فمظاهر الكون •

ضحى فيه عمل ، ضحى فيه اجهاد •

وليل فيه سكون • ففترة الوحى سكون ، يهدأ بعده صلى الله عليه وسلم من مشقات ومتاعب الوحى، حتى يستأنف نشاطه من جديد ، ولذلك سيقول له « وللآخرة خير لك من الاولى •• » وتظنـــون أن

« الآخرة » هى « الدار الآخرة » لكن .. المبـــرة الأخيرة ف الوحى » خير لك من « الأولى » .

لانها هى التى ستطول ، وستمتد الى أن يكمـل الله لك هذه الرسالة .

وبعد ذلك تجد العجب فى هذه السورة ، انهـا جاءت على طريقة العرب .. بما لم يأت به العرب ، الآية فيها قسم وهو :

« .. والضحى ، والليل ، اذا سجى .. »

ثم فيها بعد ذلك تسع آيات ، لو رتبت هــذه التسع الآيات ، فقسمتها الى ثلاثة .. واحـد ، اثنين ،ثلاثة، ثم أتيت بالآية الرابعة ووضعتها تحت الاولى والخامسة تحت الثانية والسادســة تحت الثالثة ، ثم أتيت بالآية السابعة ، ووضـعتها تحت الرابعة ، فالآية الثامنة تحت الخامســة ، فالآية التاسعة تحت السادسة ، فيكون لدينا تسع آيات ـــ طبقا للجدول التالى :

## والضحى والليل اذا سجى

١ — ماودعك ربك وماقلى

٢ — وللآخرة خير لك من الأولى

٣ — ولسوف يعطيك ربك فترضى

٤ — الم يجدك يتيما فآوى

٥ — ووجدك ضالا فهدى

٦ — ووجدك عائلا فاغنى

٧ — فأما اليتيم فلا تقهر

٨ — وأما السائل فلا تنهر

٩ — وأما بنعمة ربك فحدث .

اذا نظرنا رأسيا فى الجدول السابق نجـد الآيه الأولى ، تحتها الآية الرابعة ، تحتها الآية السابعة، ونجد الآية الثانية •• تحتها الآية الخامسـة •• وبعدها الآية الثامنة ، وتجد الآية الثالثة ، بعدهـا الآية السادسة ، بعدها الآية التاسعة ، وتجـد ما يلى •

فى الثلاث الآيات الاولى أحكام صادرة ، والآيات الثلاثة الثانية دليـل ، والآيات الثلاثة الثالثة ـ مطلوبات ، اذا فالسورة فيها تسع آيات بعد صدر السورة وما تضمه من قسم فى قوله تعـالى ، « والضحى والليل اذا سجى » فأولا « ماودعك ربك وماقلى ، وللآخرة خير لك من الأولى ، ولسـوف يعطيك ربك فترضى » ، هذه كلها وعد من الله •

فاذا جئت الى الآية الأولى « •• ماودعك ربك وما قلى» •• تأتى الآية الرابعة ـ وهى التى تحتها فى الجدول ـ ، فماذا تقول ؟ ألم يجدك يتيما فآوى » اذنكيف يتركك ، وكيف يودعك ، وهو وجدك يتيما ، قبل أن تكون له حاجة عندك فى أن تكون رسولا ، إذا

كنت يتيما ، ولم يودعك ، ولم يقليك فكيف اذا أرسلك رسولا ، أيمكن أن يكون قد قلاك ، ومادام الله قد صنع معك ذلك ، •• ما ودعك وما قلاك •• بدليل أنه وجده يتيما فآواه •• «فأما اليتيم فلا تقهر ••» فاذا الثلاث الآيات ، وعد ، ودليل ، ومطلوب ، فاذا نظرت الى الآيات التى بعد ذلك ، تجدها بهذا الشكل أيضا ، اذا أقرا السورة على أنها قسم ، وتسع آيات الثلاثة الاولى عبارة عن وعد من الله •• واخبار ، الآيات الثلاثة الثانية انما هى أدلة على كـــذبهم ، الآيات الثلاثة مطلوبات لهذه الاشياء •

# الإعجاز البياني والعلمي للقرآن

## الاستاذ أحمد فراج :

### القرآن .. اعجازه البيانى والعلمى .

موضوع هذا الحوار مع فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى يتصل بالقـرآن الكريم ، والاعجاز القرآنى ، وكان لنا لقاء مع فضيلة الاستاذ العالم الازهرى الشيخ محمد متولى الشعراوى . عند الزيارة القصيرة التى قام بها الى القاهرة ، عائدا من عمله بجامعة الملك عبد العزيز بالملكة العربيـة السعودية ، وكان الحديث يدور حول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلى هذه الصفحات يدور حوارنا حول معجزة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وهى القرآن ، والحقيقة أن وجوه الاعجاز القرغآنى تتعدد ، وتتنوع ، قد نتناول جانبا أو أكثرَ منها ، وفى نفس الوقت ننتهز الفرصة ، لنتناول بعض الاساليب القرآنية ، وبعض النماذج منها ، ونحاول أن نتناول فيها الأسلوب القرآنى ، ومعالجته لبعض القضايا

التى يتعرض لها العلم ، مع علمنا بما يكتنف هـذا الموضوع من اختلاف فى الآراء ، ونحن نعـرف أن الناس قد بعدت صلتهم باللغة العربية ، وضمرت ملكتهم اللغوية ، ولم تعد عندهم القدرة ـ كالصدر الأول من المسلمين أو العرب ـ على تذوق اللغـة العربية والاعجاز البيانى للقرآن . فهل نحن اليوم فى ضوء هذه الاعتبارات فى حاجـة الى التركيز على الاعجاز العلمى للقرآن ، حين نعرض القـرآن أو ندعو الناس اليه ، أم أن الاعجاز البيانى ، لايزال له الدور الذى ينبغى أن يأخذ حقه ، ويأخذ منـا الرعاية؟ هذه قضية . وأخرى علىجانب من الأهمية أيضا ، هى انه اذا كان الاعجاز البيانى للقرآن ، قائما الى يوم تقوم الساعة ، فما هو موقف الذين لا يعرفون العربية ، ولا يجيدونها وليست لغـة لهم؟ وماذا يكون مجال الاعجاز بالنسبة لهم بازاء هـذه الرسالة ، وازاء هذا الكتاب ؟ هذه بعض الموضوعات التى نرجو أن نطرحها مع فضيلة الاستاذ الجليل محمد متولى الشعراوى ، ولعل النقطة التى

نرجو أن نبتدىء بها بين هذه النقط تتصل بالاعجاز بصفة عامة ، والاعجاز البيانى بصفة خاصة .

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

بسم الله الرحمن الرحيم ، أحمـــدك ربى ، واستعينك وأصلى وأسلم على سيد خلقك سـيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه وبعد .. فان القرآن ، هو كلام الله ، والــكون خلق الله ، ومادام الذى خلق الكون ، هو الذى قال ذلك الكلام ، فيجب بداهة ألا تتعارض حقيقة قرآنية مع حقيقة كونية ، وفى ذلك يلفتنا الحق بقوله « .. ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (١) ومادام القرآن من الله ، فحقائقه يجب أن تنسجم مع حقائق الكون، والقرآن جاء كتاب منهج ومعجزة ، ومعنى معجزة، أنه أمر تحدى به العرب فيما نبغوا فيه ، والعرب أمة كان لها غرام بالبيان وبالكلمة والأداء ، ماعرفنا

---

(١) آية ٨٢ من سورة النساء .

أمة من الأمة ـ كالعرب ـ صنعت لأساليبها معارض واسواقا ويجتمع الشعراء والخطباء ليتفاضلوا فيما بينهم فى الاداء البلاغى ، ويأتى حكام ليحكموا لهذا على هذا . كل ذلك يعطينا أبلغ الدلالة عى أن فى مقدمة ما تميزت به الامة العربية من مواهب موهبة ابيان . ولازال الاعجاز مشروطا فيه أن يتحدى الله القوم الذين يرسل اليهم الرسول فى أهم ما نبغوا فيه ، فكان ولابد أن تكون معجزة محمد صلى الله عليه وسلم هى الأداء البيانى فى القرآن ، ومع الأداء البيانى ، السمو المنهجى فى ذلك البيان ، العرب حينما استقبلوا القرآن ، تحداهم الله أن يأتوا بمثله ، فلما عجزوا ، تحداهم أن يأتوا بعشر سور ، فلما عجزوا تحداهم أن يأتوا بسورة ، وهذا ترقى فى الاعجاز ، وان كان فى ظاهره تقليل للقدر المطلوب أن يأتوا به ردا على ذلك الاعجاز ، لانك اذا ضيقت على الخصم المطلوب منه ، فقد ترقيت معه فى حدود اعجازه . العرب أول الأمر استقبلوا هذه المسألة لا بأذواقهم البيانية ، ولا

بملكاتهم الفصاحية ، ولكنهم استقبلوا ذلك ، بالانكار أن يكون محمد هذا هو الرسول بدليل •• « وقالوا •• لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» (١) •• اذا ، فلا اعتراض لهم على القرآن ، والقرآن قد أخذ بألبابهم ، وأخذ بأفكارهم ، وانما الخلاف فقط ، فى لماذا هذا الرسول بالذات ؟ اذا فقد نقلوا الموضوع عن أصله ، لان الموضوع أنه تحداهم بالقرآن ، فماداموا قد قالوا •• «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» •• فكأن الخلاف فى من جاء على يده القرآن •

**الاستاذ أحمد فراج :**

هذا حدث من بعض الفئات •

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

نعم هذا من بعض الفئات من الكافرين ، وبعد ذلك نجدهم يترددون ، فمرة يقولون سحر ، فنسألهم ••

---

(٢) آية ٣١ من سورة الزخرف •

أهو سحر؟يقولون .. بلى سحر .. فنقول لهم فهل المسحور له خيار مع الساحر ؟ اذا أراد الساحر أن يسحر انسانا .. أيستطيع المسحور أن يتسأبى على ذلك السحر ؟ فاذا كان قد سحر قوما ، فلماذا لم يسحركم أيها المخالفون ؟ اذا فى ذلك نرد عليهم ، فى أنه ليس بسحر ، ولو كان سحرا ، لسحركم أنتم أيضا ، اذا فهو ليس بسحر .

ومرة أخرى يقولون انه شعر ، فنقول قارنوا أسلوب القرآن ، وأسلوب الشعر — وأنتم أبصر الناس بالاساليب — أذلك القرآن من نوع الشعر ؟

ومرة يقولون كهانة ، نقول فقارنوا بين أسلوب الكهانة ، وبين أسلوب القرآن ، سجع القرآن قارنوا بين هذا .. وهذا .

الا أن القرآن حين يعرض ذلك ، يعرضه عرضا مدللا تدليلا تقتنع به النفس الطبيعية الصافية ، فماذا يقول .. « وماهو بقول شاعر ، قليلا ماتؤمنون ولا بقول كاهن ، قليلا ما تذكرون » (١) .. هنا

---

(١) آية ٤١ — ٤٢ من سورة الحاقة .

يختتم الآية الأولى .. بقوله « تؤمنون » والآيـــة الثانية يختتمها بقوله « تذكرون » ، مع أن المقـــام واحد ، وأى انسان بسيط فى الاساليب ، يستطيع ان جاء الىأسلوب القرآن وأسلوبالشعر ، فلايمكن أن يقول ان هذا القرآن من الشعر ، لأن الشعر له وزن ومقفى .. وله تفاعيل وله موسيقاه الخاصة ، وهذا ليس منه ، اذا قلت ، ان هذا القرآن شعر ، فأنت ليس عندك ايمان قطعا .

ولكن أسلوب الكهانة أسلوب نثر ، وفيه ســجع والقرآن نثر ، وفيه سجع ، ولكن الذى يتـــذكر موضوعات القرآن يجد فارقا كبيرا ، اذا فذلك هو التذكر الذى يأتى به .

وبعد ذلك .. تورطوا ورطة كبيرة جدا فى أنهم انوا عما فى نفوسهم ، لان أسلوب القـــرآن قد خذهم ، وقد غلبهم ، وقد خروا له ساجدين ، فماذا نالوا .. « اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك ، فأمطر علينا حجارة من السماء ، أو ائتنا بعـــذاب

أليم » (١) .. أذلك منطق يقوله عاقل؟العاقل يقول ان كان هذا هو الحق من عندك ، فاهدنا اليـــه .. وقالوا أيضا .. «ان نتبع الهدى معك ، نتخطف من أرضنا » (٢) .. اذا فقد أقروا أخيرا أنه جـــاء بالهدى ، ولكنهم خافوا ان اتبعوه ، أن يتخطفوا ، اذا فهم تورطوا ، وبعد ذلك غلبهم الحق ، فقـــالوا الكلمة الصريحة ، الاسلوب البيانى للقرآن ، مادام جاء لأمة بيانية ، فلابد أن يكون مستوعبا للأدبـــاء البيانى بكل صوره ، وبكل معطياته ..

الأسلوب البيانى فى القرآن تجده حينما يعـــرض قضية من القضايا يعرضها عرض الله ، الخبير بحقائق النفس ، والقادر على ايراد الخصائص الكلامية التى تعبر عن حقائق النفس ، لأننا اذا جئنـــا لحفل من الحفلات واستمعنا لخطباء متعددين وأعجبنا بواحد فنحن نصفق له كثيرا ، ونستعيده ، وآخر لا يعجبنا

---

(١) آية ٣٢ من سورة الانفال .
(٢) آية ٥٧ من سورة القصص .

فلا يستوقفنا ، لماذا؟ لأن المتكلم الذى أعجبنـــا بـه استطاع أن يلمس أوتار نفوسنا ، ويأتى بالقدره التى عنده من الاساليب التى يستطيع بها أن يقنعنـــا ويهيج مشاعرنا ويستميلنا ، فاذا كان الانسان يريد أن يهيج جمهورا فلابد أن يكون عارفا بخواطره ، وعنده قدرة من الاساليب ، بحيث يستطيع أن يهيج هذه الخواطر ، وأن يستميلها ، ولكن علم الانسان محدود بخواطر النفوس ، وقدرة الانسان محدودة بأساليب الكلام ، فاذا كان الله ، هو الذى يتكلم ، أتخفى عليه من خواطر نفوس الناس أشـــياء ؟ والجواب أنها لا تخفى عليه قطعا . حين يكون عالما بالخاطرة ، أيعجز الحق القادر ، عن الاسلوب الذى يقنع كل النفوس ؟ لا يعجز . اذا فمنطقى أن يكون كلام الله أبلغ كلام . وبعد ذلك يأتى فى المســتوى الذى دونه ، كلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، القرآن حينما عرض هذه الأشياء ، تجد أنه يفترق فى أسلوبه حين يعالج معنى واحدا ، فيظن الناس .. أن القرآن يتفنن فى التعبير ، ونجد معنى يأتى مرة بعبارة وفى

نفس المعنى يأتى بعبارة أخرى ، فهل هناك فنون أو تفننات فى التعبير ؟ نقو لا •• نحن ننظر الى المعنى اجماليا لكن حين نتناول المعنى بكل زواياه ولقطاته ، نجد أن هذه الآية ، لا يصلحها الا ذلك اللفظ وتلك الآية التى فى مثل معناها ، لايصلحها الا ذلك اللفظ•

الحق سبحانه وتعالى يعرض مثلا قضية شـــائعة عند الجاهلية ، وهى أنهم كانوا يقتلون أولادهم ، فيقول •• « ولا تقتلوا أولادكم من امـــلاق ، نحن نرزقكم ، واياهم » •• ويأتى فى آية ثانية ويقول •• « ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق ، نحن نرزقهم ، واياكم » (٢) • ففىالآية الاولى ، قدمرزق المخاطبين على رزق أولادهم ، وفى الآية الثانية ، قدم رزق أولادهم على رزقهم ، نقول : المعنى ليس واحدا ، المعنى قد يكون فى جملته واحدا ، انما فى تفصـــيله والمخـــاطب به مختلف •• لماذا ؟ لانك لو نظرت الى

---

(١) آية ١٥١ من سورة الانعام •

(٢) آية ٣١ من سورة الاسراء •

عجز كل آية .. أى الى آخر كل آية مع صــدرها ، لوجدت أن هذا العجز مطلوب لذلك الصدر . كيف ؟ لأنه يقول فى الآية الأولى .. « ولا تقتلوا أولادكم من املاق » ... فكأن الفقر موجود بالفعل ، ومادام الفقر موجــودا بالفعل فشغل الانسان يكون برزق نفسه ، قبل أن يشغل برزق ولده وهنا يطمئنه الحق على رزق نفســه ، فيقول ... « نحن نرزقكم » ــ يا أصــحاب الاملاق ــ « واياهم » .. ونأتى برزقهم أيضا ، لأنه مادام الفقر موجودا ، فشــغل الانسان برزق نفسه موجود قبل أن يشــغل برزق ولده فيقول « نحن نرزقكم واياهم » .. لــكن اذا قال الحق « ولا تقتلوا أولادكم خشــــية املاق » أى خــوفا من فقر ، فكأن الفقر غير موجود ولكن أنت تخاف ان جــاء لك أولاد ، أن يأتى الفقر مــع الأولاد ، فيقول لك .. لا ، أنا سأحضرهم برزقهم .. « نحن نرزقهم واياكم » اذا المعنى ليس واحــدا ، المعنى قد يبدو فى جملته واحدا لأنه فى قضــية قتل الأولاد والفقر ، نقول : ، لا ، المخاطب مختلف ، مرة يكون فقيرا بالفعل ، وذلك شــغله برزقه ، قبل أن

يشغل برزق ولده ، ومرة يكون غنيا ولكنه يخاف أن يأتى الفقر اذا جاء له الولد ، فيكون شغله برزق ولده .. فتكون الآية « نحن نرزقهم » .. أى نأتيهم برزقهم معهم ، اذا فالأسلوب مختلف .

## ماذا عن غير العرب ؟

الأسلوب القرآنى صحيح أنه معجز للعرب ، ولكن الدعوة الاسلامية ليست دعوة للعرب فقط ، ومادامت المعجزة هى شهادة لكل مأمور بها ، بأن ذلك من عند الله ، فهذا الذى لايفهم العربية ، أو الرجل الذى تضاءلت ملكته ، أو كما قال أخى أحمد ، ضمرت فسقطت فليس لديه القدرة عليها ، كيف يكون اعجاز القرآن بالنسبة له ؟ نقول له اعجاز القرآن بالنسبة لهذا اعجاز منهجى ، بمعنى أننا نرى المناهج التى جاء بها القرآن ، أى اننا نرى الغيبيات والاشياء التى تجد بعد ذلك ، وجاء بها ، بمعنى أن نبقى على الأسلوب البيانى فى القرآن وانسجامه مع الحقائق الكونية التى يظهرها النشاط الذهنى فيما بعد ، اذا .. فالاعجاز البيانى سيظل معنا . كيف يكون هـذا ؟

## القرآن والسمع والأبصــار :

القــرآن مثــلا نجــده يعرض قضية فى وظائف الاعضاء ، ووظائف الأعضاء هذه عرفناها حديثا ، ما وظيفة السمع وما وظيفة البصر ، وما وظيفة العقل ، وبقية الأعضاء ؟ حين يتناول القرآن هذه المســألة ، نجــده يتناولها •• تناولا بيانيا لكنه بيان موافق لما انتهى اليه النشــاط الذهنى فى الكون من حقــائق علمية ، فماذا قال مثلا ؟ نجد أشهر قضية فى هذا ، قضية الانسان ووسائل علمه •• « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم ، لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصــار والأفئدة ، لعلكم تشــكرون »[1] اذا أخرجنا من بطون أمهاتنا لا نعلم شيئا ، ولكنه خلق لنا وسائل العلم ، ووسائل العلم هذه هى السمع ، نسمع ، والبصر نرى ، ثم ينشأ من المحسات أمور عقلية ، وأمور وجدانية ، وأمور قلبية ، اذا مراحل العلم تأتى محسات ، وهذا كشأن الطفل ، أولا يدرك الأشياء المحسة ثم تتراكم الأشياء المحســة فيكون

---

(١) آية رقم ٧٨ من سورة النحل •

منها معلومات عقلية فنجد القرآن يقول « • والله أخرجكم من بطون أمهاتاكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والابصار والافئدة • » وهى هنا مرتبة ترتيبا كالواقع تماما • فنجد أن أول مانلاحظه هو أن القرآن حينما تكلم عن أعضاء المعرفة فى الانسان ، تكلم عن السمع والبصر والفؤاد ، والقرآن كله بهذا الترتيب « ان السمع والبصر والفؤاد » (١) •• « وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم » (٢) •• كلها مرتبة هذا الترتيب • عندما برز الكلام العلمى أو الحقائق العلمية ، قال لنا علماء وظائف الأعضاء ان الانسان أول مايولد تكون أول حاسة من حواسه تؤدى مهمتها هى حاسة الأذن ، ثم ان العين تؤدى مهمتها فى ظرف عشرة أيام ، فأنت اذا جئت الى الوليد المولود ، ومددت أصبعك أمام عينيه فلا يرمش لان عينيه لم تؤد مهمتها بعد ، فلا يرى شيئا ، ولكن اذا جئت وأطلقت صوتا فى أذنه فانه

---

(١) آية ٣٦ من سورة الاسراء •

(٢) آية ٢٢ من سورة فصلت •

يحدث عنده انفعال ، يدل على أنه استقبل شيئا ، اذا أذنه هى أول شىء يؤدى مهمته • فحينما يتحدث الحق عن السمع والبصر •• فيكون دل على أن السمع يؤدى مهمته أولا ، وبعد ذلك البصر يؤدى مهمته ثانيا ، وبعد ذلك تتكون المعلومات القلبية والمعلومات العقلية بعد ذلك ، بلا شذوذ فى أى آية •

**الاستاذ أحمد فراج :**

لماذا السمع بالمفرد والابصار بالجمع ومتى الاستثناء ؟

**فضيلة الشيخ الشعراوى**

نلاحظ أن الحق سبحانه وتعالى حينما تكلم عن هذا ، خالف بين السمع والبصر ، كيف هذا ؟ وماذا قال ؟ « وجعل لكم السمع والابصار •• » (١) •• فالسمع مفرد دائما ، والأبصار مجموعة مع أن المفروض فى تصورنا البشرى وفهمنا أن يقول « السمع والبصر » •• أو « الأسماع والأبصار » ••

---

(١) آية ٧٨ من سورة النحل •

فهو قد رتبهم الترتيب الطبيعى ولكن لماذا قال ذلك مفرد ، وذلك جمع ، نقول والله أعلم : لان استقبال الأذن للمسموع ، لاخيار للانسان فى أن يمنع أذنه أن تسمع بشىء موجود فيها ، أما العين ، فلك خيار الا ترى مناظر موجودة أمامك ، لك أن تغمض عينيك فلا تراها لكن ليس عندك شىء فى أذنك بحيث يسد أذنك ، فلا تسمع ، فاذا ماجاء صوت فى مجموع لا يملك الناس أبدا الا يسمعوه جميعا • لكن مرئيـا من المرائى ، هذا يراه بفتح عينه ، وذلك يغمض فلا يرى ، اذا فما دام الأمر ، أمر سمع ومسموع ، فلا خيار للانسان الا أن يكون المسموع فى الجماعة واحدا ، اذا فالسمع واحد لكن الأبصار قد تتعدد فى مرائيها ، هذا يبصر ذلك ، وذلك لايبصر ، لأن هناك تحكما فى العضو نفسه ، بحيث يرى أو •• لايرى ، أما الأذن ، فلا بد أن تأتى بشىء آخر غير الأذن ، فاما أن تضع أصابعك فى أذنيك ، أو أن تحضر قطعة من القطن وتضعها فيها أو ما الى ذلك • لكن اذا جاء انسان وصرخ ، فيكون سمعنا واحدا بالنسبة للمسموع ، ولكن

مرائينا متعددة بالنســبة للمرائى ، فذلك يرى هذا ، وهذا يرى ذلك ، أما الســمع فلا خيار لأحد فيه ، لذلك جاء السمع مفردا دائما •

وشىء آخر ، لم نجد الابصار مفرده الا فى آية واحــدة •• « أن الســمع والبصر » ولم يقل •• « والأبصار » •• « ولا تقف ماليس لك به علم ان الســـمع والبصر والفــؤاد كل أولئك كان عنــه مسئولا » (١) هذه هى الآية الوحيــدة التى أفــرد البصر فيها ، لماذا ؟ نقول والله أعلم : « لان الكلام هنا عن المسئولية الذاتية •• » والمســئولية الذاتيه مسئولية فردية ، فيكون سمعى وبصرى وحده ، فأنا لست مسئولا عن ابصار غيرى ، انما مســئول عن بصرى وحــده ، اذا فلابد أن يفرد البصر هنا ، اذا فما دام الأمر كــذلك ، والحقائق العلمية أثبتت لك هــذا ، فيكون الاسلوب الادائى للقــرآن مواكبا للحقائق العلمية ، وعلى مقتضاها •

---

(٢) آية رقم ٣٦ من سورة الاسراء •

وأخرى تستحق أن نتوقف عندهـــا وقفة متأملة ، هى أن الحق سبحانه وتعالى لم يقدم البصر عـــلى السـمع الا فى آية واحدة وهى •• « ربنا أبصرنا وسمعنا » • (١) يوم القيامة « •• أبصرنا وسمعنا » لماذا تغير هذا النظام ؟ فالنظام كان السمع دائما أولا يليه البصر ؟ لأن أول ما يفجأ من مشاهد القيامة هو مرئى لا مســموع عندما تقوم القيامة ، فما الذى يفجأنا ؟ نرى أولا ، ثم نسمع ثانيا ، فيكون منطقيا مع وقته ومع واقعه •

وبعد ذلك نجد هنا عجيبة من العجب ، أن الســمع هـــذا هو الحاســـة الوحيدة التى تؤدى مهمتها عند النوم ، العين تغمض ولكن الاذن مســتقبلة دائما لماذا ؟ لان بها الاستدعاء ••

## الأستاذ أحمد فراج :

هل هذا يفسر لنا معجزة أهل الكهف ••

---

(١) آية ١٢ من سورة السجدة •

فضيلة الأستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :

سأتى الكلام عنها فيما بعد ، فما دام السمع يؤدى مهمته أداء أوليا فيكون هو الحاسة المصاحبة للانسان دائما لأنها للاستدعاء ، فما دامت هى الحاسة المصاحبة للانسان فبالليل لا تتعطل الأذن وانما العين هى التى تتعطل ، فنجد القرآن حينما يتكلم عن ذلك — حتى نرى خدمة الاسلوب الادائى للبيان مع الحقائق العلمية — نجد الحق سبحانه وتعالى حينما يتكلم عن ظاهرة الليل والنهار ، ويقول ان هذه نعمة من النعم ، أنه جعل الليل لتسكنوا فيه والنهار لتبتغوا من الفضل وتكدحوا فيه ، يقول « قل أرأيتم أن جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة ، من اله غير الله يأتيكم بضياء » .. ثم فى آخر الآية يقول « أفلا تسمعون » (١) هذه واحدة ، وبعد ذلك يقول « قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار — المقابل — سرمدا الى يوم القيامة ، من اله غير الله يأتيكم بليل

---

(١) آية ٧١ من سورة القصص .

تسـكنون فيه » وفى آخر الآية يقـول •• « أفلا تبصرون » (١) لمـاذا فى الآية الاولى قـال « أفلا تسمعون » وفى الآية الثانية قال « أفلا تبصرون » والمقام •• مقام امتنان واحد ، قالوا •• لأنه قال فى الآية الاولى •• أنا سأجعل الليل سرمدا •• ومادام الليل سرمدا فتكون وسيلة الادراك هى الأذن •• « أفلا تسمعون » •• وليست العين ، لكن فى النهار وسـيلة الادراك الاولى تكون العـين ، فمـع النهـار يقـول « أفلا تبصرون » ومـع الليل يقول « أفلا تسمعون » اذا فهذا اعجاز بيانى عـال متمش مع الحقائق العلمية التى جدت • وما دامت الأذن تؤدى مهمتها دائما حتى مع الانسان النائم فنقول الآن كما أشار الأخ أحمـد أننا نستطيع أن ندرك لماذا حينما عرض الحق سبحانه وتعالى قصة أهل الكهف نجد أنه فى هذه القصـة يريد اللـه أن ينيمهم مدة طويلة ، وهذا النوم لمدة طويلة يأتى على غير مألوف فى قانون البشر ، فالذى نام قسطا وافيا

---

(٢) آية ٧٢ من سورة القصص •

توقظه أى حـــركة ، وهم قوم فى كهف ، والكهف فى جبل ، والجبل فى صحراء ، وهناك برق وهناك رعد وهناك أصـــوات حيوانات ، فنجـــد الحق سبحانه وتعالى يريد أن يمنع عنهم المنبهات التى تخرجهم عن النوم ، فماذا قال « فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا » (١) •• ضربنا على آذانهم ، لو لم يقل الحـــق : « ضربنـــا على آذانهـــم « لبقيت الآذان تؤدى مهمتها فأى صـــوت خارجى يوقظهم فلا ينامون وهو يريدهم نائمين ، فلابد أن يقطـــع علاقتهم مع الكون ، وعلاقتهم مع الكون ـــ وهـــم نائمون ـــ ليست الا بالاذن ، فيضرب على الاذن •• « فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا » •

اذا كلما تجلت الحقائق العلمية نجد الاداء البيانى مواكبا لهـــذه الحقائق ، ويعطيها لنا بعطاء من يعلم الحقائق كيف تكون ، ويؤديها بالاسلوب الـــــذى يتفق ، والا لوكان كلاما عاديا ، ما تنبه أحد الى مثل هذه المسألة •

---

(١) آية ١١ من سورة الكهف •

فى الاداء البيانى نلاحظ أن هناك أشياء لم يدعيها البشر ، وأشياء ادعاها البشر ، فلم نجد أحدا يدعى أنه أحيا الانسان ، ولم نجد أحدا ادعى بأنه هـو الذى يميت الانسان ، اذا فقضية الحياة والموت هذه مسلمة لمن ؟ لله ، لكن هناك قضية .. فيها أسماء ، الطبيب يعـــالجك فربمـــا تظن أنت أن الطبيب شفاك ، اذا فمن الممكن أن يدعى أن الطبيب شفى المريض ، ومن الممكن أن يدعونى أحد الى طعام أو أن أكون فقيرا فيعطينى أكـــلا ، فيقال « أطعمنى فلان » .. فهذه تدعى . لماذا ؟ لأنه قد يكون سببا ؛ ونقف عند السبب لكن الأمر يختلف فى مسألة الحياة والموت .

من الممكن أن يقول لك أحد .. أنا عقلى ناضج . وسأضع لك قانونا ومنهجا لحياتك يهديك الى منطق الصواب ، كما يفعل الوضاعون فى قوانين البشر فهم يدعون أنهم يقدرون على أن يضـــعوا النظم التى تهـدى البشر ، فالشىء الـــذى لم يدع من البشر يعرضه الاسلوب البيانى عرضا عاديا والذى يمكن أن

يدعى يؤكده ، كيف ؟ نجد سيدنا ابراهيم حين حطم الأصنام ، ماذا قال ؟ « قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فانهم عدو لى ــ وهى الأصنام التى حطمها ــ الا رب العالمين .. الذى خلقنى فهو يهدين والذى هو يطعمنى ويسقين . واذا مرضت فهو يشفين . والذى يميتنى ثم يحيين . »(١) لماذا قال الذى خلقنى فهو يهدين ولم يقل الذى خلقنى يهدينى ؟ فالاسلوب البيــانى هنا .. الذى خلقنى يهدينى فقالوا لا .. لان هذه الهداية يمكن أن تدعى من البشر للبشر ، لكن الخلق لايدعى .. فلما قال : « الذى خلقنى » هذه لم توجب التاكيد ، لان هــذا موضوع لايجادل فيه أحد ، لكن الهداية والمنهج من الممكن أن يدعيها بعض الناس فنجد سيدنا ابراهيم يؤكده « .. الذى خلقنى فهو يهدين » .. هو الذى يهدينى فقط ، ضمير فعل .. « الذى خلقنى فهــو يهدين ، والذى هو يطعمنى » لان الطعام قد يدعى أن فلانا يؤكل فلانا ، وفلان يعول فلانا ، فيؤكدها ويقول

---

(١) من ٧٥ ــ ٨١ من سورة الشعراء

تنبهوا الى أن هذه أسباب مناولة فقط •• رأما الذى أطعم فهو الله • ولذلك لم يقل الذى يطعمنى كما قال الذى خلقنى ولكن قال « الذى هو يطعمنى • » •• هو • أ ى لاغيره يطعمنى ويسقينى ، وبعد ذلك قال •• « واذا مرضت فهو يشفينى » لم يقل فيشفينى •• لأن هناك أسبابا من الطب ومن العلاج ، يمكن أن تدعى أنك أنت الشاف ، « والذى يمتنى ثم يحيينى » •• لم يقل •• هو يميتنى ، اذا الاداء البيانى سائر بنظام ، بحيث أنك اذا أخذت لفظا ونقلته فسيختل المعنى •

## لا زيادة فى حرف

نأتى مثلا فى العرض للأداء القرآنى فنجد قول الله تعالى « ما جاءنا من بشير ولا نذير » (٢) •• ، نجد أن بعض العلماء عندما يفسرون هذه الآية ، يقولون « من • حرف جر زائد » •• بمعنى أن أصلها ، ما جاءنى بشير ولا نذير • وحينما يشرعون فى

---

(٢) آية ١٩ من سورة المائدة

اعرابها يقول هذا البعض : من •• حرف جر زائد • وبشير ، فاعل مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد • ونسأل : لماذا « من » حرف جر زائد ؟ ولماذا يضيف الله هذا الحرف الزائد ؟ اننا اذا تأملنا قليلا فى الآية نجد أن « الزيادة » المقول بها فى حرف « من » هى فى تصور البعض ، ولابد فى رأينا وفهمنا أن يكون لها معنى • ولايضاح ذلك نقول : أنت اذا قلت : ماعندى مال ، فمن الجائز أن لا يكون عنـــدك مال له قيمة ، انما اذا قلت معى خمســـة وعشرون قرشا أو خمسون قرشـــا أو جنيه ، فهنـــا هـــذا لا يعتبر مـــالا ذا قيمة ، لكن حين أقول •• « ما عندى من مال » • أى من بداية ما يقال له مال ولو مليم ، فكأن اللـــه حين يقول •• « ما جاءنا من بشير » •• أى لم يأت لنا أحد من بداية ما يقال له بشير ، لم يوجد أحد قال لنا كلمة ياربى ، لم يهـدنا أحد ولو بكلمة ، اذا •• « من » •• هنا لاتكون زائدة ، فهى قد جاءت لتؤدى معنى •

## بيان فى حرف

من المعانى الواحدة التى يختلف فيها الاسلوب ، ويظن الناس أن هذا تفنن فى العبارات ، نجد مثلا أن القرآن يتحدث عن المصائب التى تصيب الناس ؛ ففى وصية لقمان مثلا نجده يقول له .. « وصـــبر على ماأصـــابك ، ان ذلك من عزم الامور » (١) .. فقط لاغير ، انما فى آية أخرى فى الصبر أيضا يقول. « ولمن صبر وغفر ، ان ذلك لمن عزم الامور » (٢). حرف لام ، نجد أن اللام هنا وضعها مع « من » فاذا تساءلنا عن السر فى هذا ومعناه التمسناه فى أن المعنى مختلف ، نعم صحيح أنه كلام فى الصــبر ، لكن المصبور عليه هذا ، أمره يختلف ، فهناك مصيبة تصيب الانسان وله فيها غريم ، ومصيبة تصـيب الانسان ولا غريم له ، المرض الذى يصيبنى ، من غريمى فى المرض الذى أصابنى ؟ لاأحد ، اذن على

---

(١) آية ١٧ من سورة لقمان
(٢) آية ٤٣ من سورة الشورى

من أصبر هناك ؟ فالمسألة طبيعية ، ولكن اذا لطمنى انسان أو ضربنى أو آذانى ، فتكون مصيبة قد آذتنى ولى فيها غريم أمامى ، فمادام الغريم أمامى فهذا يهيج خواطرى فى أن أغضب وأن أرد ، لكن المرض الذى أصابنى ليس لى فيه غريم ، فمع من سأعمل معركة ؟ ولذلك — ونعود للآية •• « واصبر على ما أصابك » يكفى جدا « ان ذلك من عزم الامور » لأنه لا يوجد غريم يحركنى على أن أنتقم منه ، لكن الآية الثانية تقول « ولمن صبر وغفر » كان لى غريم ، فأحب أن يؤكدها ، فقال « ان ذلك لمن عزم الامور » •

## المرضع والمرضعة :

نجد عرض القرآن أيضا عندما يصور لنا هول يوم القيامة يقول « يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت » (١) مع أنهم يقولون ان مرضع •• بدون تاء •• فكلمة مرضع لا تأتى للرجل ، لأن

---

(١) آية ٢ من سورة الحج .

« مرضع » بطبيعتها للمرأة ، فلا تأتى التاء هنـــا ولذلك يقولون لك أن الأمور الخاصة بالمرأة لا تأتى فيها بالتاء ، فلا تقول •• رجل حامل وامرأة حاملة، انما تقول امرأة حامل» لماذا؟ لأن هذا وصف لايوجد الا للمرأة ، فلا توجد تاء الفرق معها ، فما دامت كلمة « مرضع » لا تأتى للرجل ، فلماذا جيىء لهـا بالتاء هنا؟ «تذهل كل مرضعة» والجواب ، لأن الله يريد أن يصور لنا هول القيامة وأن هول القيـــامة يشغل الانسان عن أعز مايحب • « المرضع » •• هى المرأة التى من شأنها أن ترضع وان لم تـكن فى ذلك الوقت مرضعة ، لكن مرضـــعة •• هى التى تلقم الثدى فى فم الطفل ، فذوهل المرأة يوم القيامة، لا عن رضيع من شأنه أن يرضع منها ، وان كان قد شبع من الرضاعة ونام ، لا ، وانما هو يذهلها عن الرضيع الذى ثديها فى فمه ، اذا •• فمرضعة لاتكون الا لحالة الارضاع ذاتها ، واما مرضع فتقال للمرأة التى من شأنها أن ترضع وان لم تكن مرضـــعة فى ذلك الوقت ، فالذهول الذى يصـــيب الناس ، متى

يكون أروع ؟ اذا كان الثدى فى فم الطفل ، فنجـد التعبير القرآنى يعدل عن « مرضع » الى مرضعة . وهذا أداء ايقـاعى حتى يعطى المعنى الدقيق .. السليم .. المطلوب .

**الجلد ومراكز الاحساس :**

بعد ذلك يأتى القرآن ، ليعرض لنا أشياء ما كنا نعرفها ، الا أننا كنا نفهمها على أنها أسلوب أدائى ، وننفعل له .. الانفعال المناسب له قدر عقـولنا ؛ وبعد ذلك يأتى العلم الجـديد ، ويعطينا صورا ، فنقول هذا أسلوب بيانى مضبوط . حين عـرض القرآن لعذاب الكفار فى الآخرة ، يقـول الحق « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلـودا غيرهـا ليذوقوا العذاب » (١) .. « جلودا غيرها ليذوقوا العذاب » .. نحن كنا نقرأها قبل أن نعـرف أين منطقة الاحساس ؟ هل الاحسـاس فى المخ أم فى النخاع الشوكى . ثبت أخيرا أن هذا الجلد ، هو

---

(١) آية ٥٦ من سورة النساء

الحاسة المهمــة فى الانســان ، لدرجــة أن الأذن لا تستقبل أكثر من ثمانية عشر مؤثرا ، واذا زادت المؤثرات ، تختلف الاصوات ولا تتميز ، والعـــين لا تميز أكثر من ثمانية عشر مرئيا ، فاذا زادوا عن ثمانية عشر مرئيا تختلط ولا تنظر ، لكن السنتيمتر من جلد الانسان ، يستقبل ثمانمائة مؤثر مختلفة ، ٨٠٠ مؤثر ويحس بها ، واذا هذا الجلد فى مســألة الاحساس هو المركز القوى ، فحين يأتى الحق سبحانه وتعالى ويقول « كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها » .. ثم يعلل .. « ليذوقوا العذاب » .. فيكون هذا أداء بيانيا رائعا ، اتفق مع الحقــائق التى أثبتها العلم ، فى أن مناط الحس الاصــيل فى الانسان هو الجلد ، بدليل أن الجلــد حين يحرق يمتنــع الاحســـــاس ، والله يريد أن يديم عليهم احساسهم بالعذاب ، فحين ينضج الجلد ، يأتى لهم بجلد آخــــر .. « ليذوقوا » أى لتتكرر اذاقتهم للعذاب .

هنا وقفة ، وهو أن هناك مدرستين الآن ، مدرسة

تستقبل الحقائق العلمية فى الكون ، وتحـــــاول أن تخضعها للقرآن ، ومدرسة تنفى ذلك ، تقول لا .

**الاستاذ احمد فراج :**

اذا أذنتم ، ربما تكون المحاولة هى اخضـــــاع الآيات القرآنية وتوطئتها لكل ما يكتشف فى قضايا العلم وليس محاولة اخضـــــاع الحقائق العلميـــة للقرآن ، مع ما قد نسلم به من أن العلم لا يعـــرف الكلمة الأخيرة فى كثير من القضايا والمسائل ؟

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

نعم يحدث ذلك ، لكن نحن نأتى ونقول لهم ان الذين منعوا مجانبين للصواب ، والذين غالوا مجانبين للصواب ، لماذا ؟ لاننا قد قلنا أولا ان القرآن كلام الله ، والكون خلق الله ، وحقائق الكون الموجودة فيه والتى خلقها الله لابد أن تنسجم مـــع كلام الله ، فلا يكون هناك تضارب ، فان حصـــــل ما ظاهره التضارب ، فاما أنك فهمت حقيقة قرآنية ، وهى ليست حقيقة قرآنية ، وليس هذا المـــــراد من الحقيقة

القرآنية ، واما أنك أتيت بشيء ليس حقيقة علمية ، وقلت هو حقيقة علمية ، لكن اذا تأكدنا أن هذهحقيقة قرآنية ــ وهذا هو الفرق ــ وهذه حقيقة علميـــة فلابد أن يلتقوا ، لأن قائل القـــرآن •• هـــو خالق الكون • الا أن الناس ، لايفطنون الى أهمية تحديد ما هو العلم ؟ لايقال علم •• الا اذا كانت قضية ، وأنت تجزم بها ، وهى واقعة ، وعليها دليل ، بغير ذلك لا يكون علم ، والعلم من أجل اكتشاف حقائق الكون مفهوم أنه يبدأ بالملاحظة ، ثم التجـربة ثم النظرية ، ثم الحقيقة العلمية ، فلا يقال حقيقـــة علمية ، الا فىنهاية المطاف بأن تسلم ، وكل الجزئيات تنطبق على هذه الحقيقة ، ولا تشذ عنها حقيقة ، فاذا جئت لتخضع القرآن لملاحظة علمية ، نقول لك هـــذا غلط ، لأنه من الجـــائز ألا تنجح الملاحظة بالتجـــــربة ، واذا جئت لتخضـــــع القـــرآن لتجربة علمية ، نقول أيضا هذا غلط ، لأنه من الجائز ألا تنفع التجربة ، اذا أردت أن تخضع القــــرآن لنظرية ، نقول لك هذا غلط أيضا لان النظرية يمكنأن تخطىء ، لكن اذا وصلت الى حقيقة علمية ، نقـــول

لك .. ان لم يكن فى القرآن ما يؤيدها ، فليس فيه قطعا ما يعارضها .

**الاستاذ أحمد فراج :**

لكن نحن نقول أيضا ان العلم لا يعرف الكلمة الاخيرة ، باستمرار ما يسمى بالحقائق العلمية اليوم يخضع للتغيير والتبديل غدا .

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

هنا ، لاتكون حقيقة ، فمثلا أنا الآن ، اذا نظرت الى الفلكيين ، والناس الذين يحسبون دورة الارض ودورة الشمس والقمر و .. و .. الى آخره ، ونجدهم يقولون مثلا ان الساعة كذا فى يوم كذا . يحدث خسوف ، أو يحدث كسوف فى منطقة كذا ، حين نتابع هذا الذى قالوه ونجد الأمر كما حسبوه وأكدوه ، فهذا دليل على أن المقدمات سليمة ، لو كانت المقدمات فيها غلطة واحدة لكانت النتائج تأتى مضطربة ، فلما كانت النتائج سليمة ، فتلك حقيقة علمية ، فمثلا لو قالوا ان الارض كرة ، ودورتها

حول نفسها تستغرق كذا ، ودورتها حول الشمس تستغرق كذا وحول القمر تستغرق كذا ، ففى الوقت الفلانى تسكون الشمس اما بين الأرض والقمر ، فيحدث كذا ، أو القمر بين الشمس والارض فيحدث كذا ، مادامت هذه المقدمات والنتائج تأتى طبق الأصل ، فلابد أن يكون هذا الكلام مبنيا على حقيقة علمية ، فلا نستطيع أن نجادل فيه ، لكن حين يأتى شخص ويقول لى .. انهم قد وصلوا الى القمر ، وربنا قد ذكرها فى القرآن . فأقول له كيف هذا ؟ يقول .. قال . « يا معشر الجن والانس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض ، فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » (١) .. وهذا هو سلطان العلم .. فأقول له ما دخل طلوع القمر هذا بالسماء ؟ ان القمر ليس الا ضاحية من ضواحى الأرض ، ماالقمر بالنسبة للسماء ؟ أين بعد الشمس؟ ان القمر لا يبعد ثانيتين ضوئيتين ، أما الشمس فثمانى دقائق ضوئية ، وهناك كواكب أخرى بيننا

---

(١) آية ٣٣ من سورة الرحمن

وبينها ألف سنة ضوئية ، وأخرى بيننا وبينها مليون سنة ضوئية ، فأين السماء ، وأقطار السماء من أين جاءت ؟ فأنت فى ضاحية الأرض فى القمر ، ثم اذا كان سلطان العلم كما يقال فكيف يقول الله بعدها : «يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران» (١) .. مادام السلطان الذى جاء هو العلم ، وسننفذ فلماذا يقول « يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران » .. وهل أنا المتحدى فقط ، أم الجن أيضا داخل فى التحدى ، الجن لانه يقول « يا معشر الجن والانس » يخـــاطب الاثنين ، والجن بنص القرآن ، كانوا يقعدون من السماء مقاعد للسمع ، فهم واصلون الى مدى بعيد ، ومع ذلك متحدين ، اذا لا يصـــح ان تقول ان القرآن أشار الى ذلك اذن فما معنى : « الا بسلطان » نقول « الا بسلطان » هذه آتية لغرض واحد ـــ وهذا أيضا أداء بيانى ـــ حتى لا يعمل مغمز فى أى قضاية من قضايا الدين ، وحتى لا تتعارض قضايا الدين ! لقـــد أسرى اللـــه

---

(١) آية ٣٥ من سورة الرحمن .

بعبده من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى ، وعرج به الى السماء ، فلو ان « الا بسلطان » هذه لم تأت هنا لقال قائل « لا •• محمد لم يعرج به الى السماء » •• لماذا ، لأن اللـه يقول « •• يا معشر الجن والانس ، ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لاتنفذون » وقد تحدى، لكن قول الله •• « الا بسلطان » •• • أى بسلطان منه ، فهو الذى يخضع القوانين ، وهو الذى يخرج محمد منهذا النطاق الى السماء ، فاذا «الا بسلطان» هذه آتية حتى لا يكذب محمد فى أنه صعد الى السماء •• ان لم تكن هذه الآية فقد كان من الممكن أن يقول انسان » •• لا ، ان القرآن يمنعه » •

اذا فالذين يمنعون أن القرآن قد يلتقى ببعض الحقائق العلمية ، نقول لهم • لا ، لكن حققوا أولا أنها حقيقة علمية ، فاذا وصلت مسألة الى مرتبة الحقيقة العلمية فالقرآن لا يعارضها ، بل يمكن أن يؤيدها •

والقـــرآن لـــم يجيء كتـــــــاب عــــلم بمعنى أنه لم يأت ليعلمنى الكيمياء ولا ليعلمنى الفلك ولا ليعلمنى الجغرافيا ، انما يمس حقائق الكــون الموجودة بما يؤدى الى مصداق قول الله « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم » (١) .. ولا يمكن أن يرينا الآيات فى الآفاق وفى أنفسنا ، الا اذا اكتشفنا حقائق علمية ، ثم وجدنا قرآننا يؤيدها أى يمن على الحقيقة على أنها حقيقة ، وهذا غير أن يعلمها لنا ، فتعليمها نشاط ذهنى لكن اذا وصلت اليها تجـــد القرآن اما أن يؤيدها أو لايعارضها ، وهذا ما يجب أن نلتفت اليه فى بحث القرآن من ناحية الحقــائق العلمية .

**الاستاذ احمد فــراج :**

يبدو أن هناك تعليقا بسيطا وهو .. أننا محتاجون الى أن نتعلم اللغة العربية من البـــداية لان تذوق

---

(١) آية ٥٣ من سورة فصلت

اللغة العربية ، وهذا الكتاب نزل بها ، هو الـــذى يضع أيدينا فى الواقع على الامكانيات أو القدرة على الاحساس بالاعجاز البيانى فى هذا القرآن ، والذى لا نشك أنه هو الذى كان ــ ولايزال ــ الاساس فى تحدى الناس بالقرآن نفسه .

لأنه لم يكن المتصور .. أن ينتهى نزول القرآن أولا ليتم التحدى به كبيان معجز وكمنهــاج كامل للحيــاة أو كمنهـــاج للتشريع ، أو كتــاب يمس قضــــايا علميــــة . لــــكن لا شـــــك أن الاعجاز كـــان فى مبتدئه .. هــو الاعجــاز البيانى وكان الناس مدعوون الى الايمان بالقرآن والايمان بالله منزل القرآن ، منذ أول آية نزلت وهى «اقرأ» ثم ان التحدى بالقرآن قائم كمنهج كامل للحيــاة وكمنهاج كامل للتشريع ، واعجازه فيمــا يمس من قضايا العلوم قائم متجدد دائما .. وهذا يمكن أن يؤكد بالفعل أن كل خدمة تؤديها حكومتنا ، وحكوماتنا العربية والاسلامية فى كل مكان من العالم الاسلامى للغة العربية ، فهى خدمة للأمة الاسلامية ، تعــرف

بها الطريق الصحيح الى هذا الكتاب ، وتعرف بها الطريق الصحيح الى الايمان بالله ، الى يوم تقوم الساعة ، ومرة أخرى نشكر فضيلة الاستاذ محمد متولى الشعراوى •

# مكانة المرأة فى الإسلام

**الاستاذ احمد فراج :**

الانسان أصل كل حضارة وصـانع كل حضارة ، وهذا الانسان ينقسم الى نوعين ، الرجل والمرأة . كيف ينظر الاسلام الى المرأة ؟ ان البعض يتصور — حتى من بين المسلمين أنفسهم أن الاسـلام ينحاز ضدها ، وأن المرأة فى هذا العصر ، تحتـاج الى التحرر ، وتحتاج الى الانطـلاق والعمل ، والاسلام — فى زعم هؤلاء — لا يقدم لها المستوى الذى يليق بتطورها فى هذا العصر الـذى نعيش فيه .

ولانشك أن آخرين سـوف يسخرون من هـذا الطرح للقضية وسيسألون بدورهم عن هذا العصر وما اذا كان قد أعطى المرأة شيئا حقيقيا ، واذا كان قد أعطاها ، فما الذى أخـذه منها وما هو جوهر التحرر الذى نقصده ، وكيف يقارن عطاء العصر — حتى فى جانبه الايجابى بعطاء الاسـلام للمرأة ، كانسان وكيان ، هذه بعض تساؤلات ، كانت أمامى عندما بدأت أدير هذا الحوار مع فضيلة الاسـتاذ

الشيخ محمد متولى الشعراوى •

وكان المدخل هو قضـــية الزوجية ، التى نراها كظاهرة عامة فى كل الكائنات فى هـذا الكون ، واذا كانت هذه الظاهرة تعطى نوعين ، فهل هذا الانقسام يعطى ميزة لأحد النوعين على الآخر ، وهل يفرض قيدا على أحدهما لحساب الاخر ؟

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

فى الواقع أن الانسان حين ينظر الى موضـوع من الموضوعات التى قد تختلف فيه العقول يجب أن يبحث فى موضوع مشابه له اتفقت فيـه العقول ، وبذلك يرد الحكم فى الاول المختلف فيه ، عـــلى نظام الحكم فى المتفق عليه •

أولا كلمة امرأة تعنى أن لها مقابلا وهو الرجل ، امرأة تعنى « أنثى » ورجل يعنى « ذكر » لـــو نظرنا اليهما •• وجدنا أن هناك جنسا يجمعهما وهو « انسان » •• وحين أقول جنسا يجمعهما •• وهو انسان أقصد أن الجنس هو ما يمكن أن ينشأ منـه نوعان ، والنوع ينشأ منه أفراد متساوون ، فأنـا

أقول انسان جنس لانه ينشأ منه نوعان وهما الذكر والأنثى ، وبعد ذلك نجـــد أن الذكر يأتى منه زيـــد وعمر وعبيد ، ولا اختلاف فى تكوينهم الحقيقى •

واذا نظرنا الى جنس انقسم الى نوعين ، فيجب أن نقول •• انه لـــم ينقسم الى نوعـــين الا لأداء مهمتين ، والا لو كانت المهمة واحدة ، لظل الجنس واحدا ، ولم ينقسم الىنوعين ، فانقسامه الى نوعين دل على أن كل نوع له خصوصية فى ذاته والجنس يجمعهما ، ولهما معه خصوصية فى ذاته • مثلا الزمن جنس •• يشمل الليل والنهـــــار •• الليل والنهار كظاهرتين ــ وقـــد يظن البعض أنهما متعارضتـــان أو متناقضتان ، لان هذا نور ، وذلك ظلام ، نقول ، لا •• النور لم يأت ليعارض الظلام ، والظلام لم يأت ليعارض النور ، ولذلك لايصح أن نقارن بين نور وبين ظلام ، لان لكل واحد منهما مهمة يؤديها لايستطيع الآخر أن يؤديها ، فمادام الزمن قدانقسم الى ليل ونهار ، فنقول •• ان الزمن بجنسيته له معنى ، وهو أنه ظرف لحدوث الاشياء فيه ، هذا هو المعنى المشترك ، وبعد ذلك انقســـم الى نوعين ،

وهذان النوعان ، نهار وليل ، فلابد أن يكون للنهار مهمة وأن تكون لليل مهمة أخرى • وحين يعرض الحق سبحانه وتعالى هذه القضية يعرضها عرضا واضحا معللا فيقول « هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه •• والنهار مبصرا » (١) •• اذا فقد جاء بعلة وجود الليل ، وهو السكن والهدوء والراحة والاستقرار ، والنهار للكدح والعمل •• اذا فلا نستطيع أن نقول ان الدنيا كنهار دائم •• أو الزمن كنهار دائم ينفع ، ولا الزمن كليل دائم ينفع، يعرضها القرآن أيضا ، فيقول •• « قل أرأيتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الى يوم القيامة ، من اله غير الله يأتيكم بضياء ، أفلا تسمعون ، قل أرأيتم ان جعل الله عليكم النهار سرمدا الى يوم القيامة ، من اله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون » (٢) ، اذا فالحق من رحمته أنه جعل الزمن ، الذى هو كجنس •• ظروفا لحدوث الأشياء فيه ينقسم الى نوعين ، كل نوع يؤدى مهمة ، فلو

---

(١) آية ٦٧ من سورة يونس

(٢) الآيتان ٧١ — ٧٢ من سورة القصص •

أردنا أن نشبه الليل بالنهار أو النهار بالليل ، فنكون قد خرجنا بالنوعين عن المهمة الاصيلة لهما •

الرجل والمرأة بهذا الشكل ، الرجل والمرأة نوعان لجنس هو الأنسان ، فكأن هناك أشياء تطلبمن كل منهما كانسان ، وبعد ذلك أشسياء تطلب من الرجل كرجل ، ومن المرأة كامرأة ، بحيث نستطيع أن نقول انهما كنوعين من الجنس ، لهما مهماتمشتركةكجنس- ومهمات مختلفة كنوعين ، الحق سـبحانه وتعالى • حينما عرض قضية الليل وقضية النهار ـ وهـــذه قضية كونية لايختلف فيها أحد ولا يمكن لأحد أن يعارض فيها ، لأننا جميعـــا نجعل الليل للسكن والراحة ، والنهار للكدح ـ عرضها سبحانه وتعالى ليقدمها ايناسا للقضية التى يمكن أن يختلف فيها ، وهى قضية الرجل والمرأة ، فقال « •• والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى » هذان نوعان من الزمن • ثم أتى بالنوعين الاخرين اللذين يمكن أن يختلف فيهما فقال •• « وما خلق الذكر والأنثى ، ان سعيكم لشتى » (١) •• فكأن لليل مهمة وللنهار مهمة ، وكأنه

(١) الايات الاولى من سورة الليل

ـ تبعا لذلك ـ للرجل مهمة والمرأة لها مهمة ، أى للذكر مهمة وللانثى مهمة « ان سعيكم لشتى » .. ثم يأتى بعد ذلك ، فى هذه القضية العامة فيقول : « ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ، للرجال نصيب مما اكتسبوا ، وللنساء نصيب مما اكتسبن » (١) .. لا يتمنى الرجل أن يكون امرأة ولا المرأة أن تكون رجلا ، ولذلك فان الحديث يأتى صراحة فيقول « .. لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء ، ولعن الله المتشبهات من النساء بالرجال » لماذا ؟ لأنها خرجت عن النوعية المقصودة ، كذلك كل أزواج الحياة . ومن هنا فالحق سبحانه وتعالى يقول « ومن كل شيء خلقنا زوجين » (٢) .. ويقول « سبحان الذى خلق الأزواج كلها » (٣) .. ويقول « يأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها » أى خلق من جنسها زوجها ، « وبث منهما رجالا كثيرا ونساء » (٤) اذن

(١) آية ٣٢ من سورة النساء .
(٢) آية ٤٩ من سورة الذاريات .
(٣) آية ٣٦ من سورة يس .
(٤) الاية الاولى من سورة النساء .

فعلة وجود الزوجية فى الانسان ، وفى النبات ، وفى الحيوان ، وفيما عرفنا منبعض الجماداتالتكاثر .. التكاثر فى هذه الأشياء ، لأجل أن يحفظ النوع بكثرة أى بازدياد ، الا أننـــا نلاحظ أن التكاثر جاء فى الأجناس وهى فى الأنسان والنبات والحيوان ، كيما يكثر الكمية ، لكن فى الجماد ظلت الكمية كما هى ، قالوا .. لان تكثير الانسان وتكثير الحيوان وتكثير النبات ، سيؤول فى نهاية الامر بعد مفارقة الحيـــاة لهذه الاجناس ، الى جمادية فى العناصر ، فتـسكون كل هذه الزيادات الموجودة سترتد الى جماديات ، فالانسان بعد أن يموت ، نجـــد أن الماء يذهب الى الماء ، والعناصر المكونة للجسم وعددها ستة عشر سيذهب كل الى عنصره ، فيكون هذا زيادة فى نفس الجماد ، وحينما تناول الحق سبحانه وتعالى هـــذه القضية ، بين لنا .. أننا يجب أن نفهم أن لكل نوع من الجنس مهمةيؤديها ، هذه المهمة التى يؤديها يجب أن يقف عندها ، فاذا ما وقف عندها ، أمكن لـــكل نوع أن يؤدى مهمته بدون تعارض ، بـــل يتســاند ويتعاون ، والذى يفسد الأمر .. أن نوعا يريد أن

يغير على حقوق نوع آخر ، أو على واجبات نوع آخر ، ومن هنا يحدث الفساد فى نظام الكون .

**الاستاذ أحمد فراج :**

فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى ، واضح من كلام فضيلتك أن هناك ما يمكن أن نسميه خصائص مشتركة بين الذكر والأنثى ، بين الرجل والمرأة ، وأن هناك نواحى تختلف فيها وظيفة الرجل ووظيفة المرأة ، فهل لنا أن نتناول أولا هذا القدر المشترك ، الذى تفضلتم بالاشارة اليه ، ماهى الأمور التى يشتركان فيها ؟ وما هى الامور التى يختلفان فيها ، ولماذا ؟

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

القدر المشترك .. هو ما يطلب من الجنس .. كانسان ، وما يطلب من الجنس كانسان بالنسبة الى دين من الأديان ، هو الأعتقاد . فالمرأة مطلوبة أن تعتقد العقيدة التى تقتنع بهـا ، والرجل كذلك ، يعتقد العقيدة التى يقتنع بها ، فلا يمكن للرجل أن يفرض عقيدته على امرأة . والقرآن يعرض لنا هذه

المسألة ، ويعرضها فى أقوى صورها ، مثلا الرسل الذين جاءوا ليحملوا الناس على منهج الله ، أولى بهم .. أن يحملوا زوجاتهم على منهج الله ، ومع ذلك قدم لنا القرآن هذا العرض ، فيقول « .. ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح ، وامرأة لوط ، كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين ، فخانتاهما ، فلم يغنيا عنهما من الله شيئا ، وقيل ادخلا النار مع الداخلين » (١) .. اذن الرسول .. المفروض فيه أنه يأتى لكى يهدى الناس ويعلمهم منهج الله ولكن لم يستطع أن يقنع امرأة — زوجته — بمنهجه ، وظلت مخالفة لذلك المنهج ، اذن فللمرأة أن تعتقد ما ترى كانسان له حرية الاعتقاد .

وبعد ذلك يعرض القضية المقابلة « وضرب الله مثلا للذين آمنوا ، امرأة فرعون » .. فرعون الذى ادعى الألوهية ما استطاع أن يدخل هذه العقيدة فى روع زوجته .. « .. قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ، ونجنى من فرعون وعمله ونجنى من القوم

---

(١) آية ١٠ من سورة التحريم

الظالمين (١) اذا فالخاصية الاولى .. هى خاصية حرية الاعتقاد ، وأن لها أن تعتقد ما تشاء وأن تقتنع به ، لماذا ؟ لأن هذا الاعتقاد سيلزمها بمنهج ، فلو لم تكن مرتبطة بالعقيدة باختيارها وبطواعيتها ، فيكون اقبالها على المنهج غير مأمون ، ان اقبلت اكراها ، تقبل على المنهج ما رأيتها ، أو ما رآها القانون أو ما رآها المكره ، لكن اذا ما خلت بنفسها يمكنها أن تتحلل من ذلك المنهج . اذن .. فالقدر المشترك الأساسى .. هو حرية الاعتقاد ، حرية تعقل الأشياء . حرية الحكم على الأشياء . مثلا نجد أن القرآن يعرض لنا مثلا ، وهذه المثل منها أنه يأتى لبلقيس — مع أن الأسلام لايرى أن المرأة تملك — ويعرض لنا قصتها ليعطينا أن المرأة لها أن تعقل ، ولها أن تشير وتستشير ، ويعطينا صورة من عقلها ورجحانها ، ففى قصة سيدنا سليمان نجد أن سيدنا سليمان أرسل لبلقيس

---

(١) آية رقم (١١) من سورة التحريم .. ولابن القيم التفاتة جميلة فى تقديم ( عندك ) على ( بيتا فى الجنة ) اذ قال ان امرأة فرعون قدمت الجوار على الدار .

الكتاب ، بعد أن جاء له الهدهد ، فاستقبلته ، ماذا كان موقفها قالت « انه من سليمان ، وانه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وأتونى مسلمين » (١) .. وبعد ذلك قالت لهم « ما كنت قاطعـة أمرا حتى تشهدون .. قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين » (٢) ... هذه مسالة سياسية وليست مسألة قوة فنحن جيش وقوى ، وحينما تأمريننا بالحرب ، نحارب ، انمـا أنت التى تقدرين ماذا نفعل ؟ فهذا رأى سياسى ، فماذا صنعت ؟ قالت اننى سأرسل له بهدية ، فان قبل الهدية ، أعلم أنه طالب دنيا ، اذن أمكن للمرأة أن تفكر التفكير السليم ، الذى تعـرف به طبيعة سليمان هذا ، أهو ملك من جبارى الدنيـا ، يريد الدنيا وزينتها ويريد خيرهم وما يملكون ، أم له مهمة أخرى ؟ فأرسلت الهدية .. فماذا كان موقف سليمان قال « .. أتمدونن بمـال ، فما آتانى الله خـير

---

(١) رقم ٣٠ ــ ٣١ من سورة النمل
(٢) رقم ٣٢ ــ ٣٣ سورة النمل

ممـــا آتاكم ، بل أنتم بهديتكم تفرحون » (١) ..
فعلمت أنه انسان لا يريد مالا ولا جاها فالمسـألة
اذن جادة ، وبعد ذلك قالت سأذهب اليه لانه غـير
طالب دنيا ولا مال ، وانما هو رجل له منهج .

وعلى الناحية الأخرى قال سـليمان لجلسائه
« يأيها الملؤا أيكم يأتيني بعرشـها قبل أن يأتوني
مسلمين » (١) وبعد ذلك جيئ بالعرش ونصب ..
الى آخره ، فلما جاء العرش ونصب ، ووجهت بـه
بعد ذلك . ولننظر هنا الى عقلية المـرأة ، كيف
استطاعت ان تقف الموقف الدقيق وتعبر التعبـير
الذى نقول عنه « التعبير الدبلوماسى » ان عرشها
تركته فى بلدها ولكن هناك مسـألة غريبة فى كونها
تركت العرش ، وبعد ذلك تأتى فتجد العرش ، فلكى
يفك العرش ، ولكى يحمل المسافة التى قطعتها وحتى
يصل فان هذا كله يحتاج الى وقت طويل وهى تركت
العرش وجاءت ، فماذا تقول ؟ وأنت هنا لو جمعت

---

(١) آية ٣٦ من سورة النمل .

كل رجال السياسة وجعلتهم يكتبون لها بيانا لايؤخذ عليها ، فماذا كانت تقول ؟ « قالت كأنه هو » (١) • كلام لا يعرف به العرش اذا كان هو أم لا ؟ كلام دبلوماسى حقا ، اذن هذه صورة من صور عقليـــة المرأة •

كذلك يعرض القـــرآن لنا •• أن اللـــه سبحانه وتعالى يصطفى بعض النساء ، كمـــــا يصطفى من الرجال تمـــــاما ، يصطفى مثلا مريم ، ويقـــــول « •• يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفـــاك على نساء العالمين » (٢) •• ثم يأتى ويصطفى واحدة أخرى مثل أم موسى ، ويوحى اليها بأشياء وتفعل أشياء الى آخره ، اذن فالمرأة من حيث كونها جنسا محل للاعتقاد الحر •

محل لاصطفاءات الله ولأن يخصها الله بشيء • الرجل •

محل لاصطفاءات الله ولان يخصها الله بشيء •

---

(١) آية ٣٨ من سورة النمل •
(٢) آية رقم ١٣٦ من سورة آل عمران •

وبعد ذلك يأتى الاسلام فنجد أن حياتها حرة ، لها حرية التملك لها رأيها فى من تختار لنفسها ، أن تقبل أو ترفض ، أعطاها أشياء من حيث ملكيتها للاشياء ولها تصرفاتها ، كل هذه القدر المشترك بالنسبة للرجل وللمرأة • ولكن وجودنا فى الحياة هذا موضوع آخر •

**الاستاذ احمد فراج :**

نأتى لهذا الموضوع الآخر يا فضيلة الشيخ الشعراوى ، طبعا فيما يختص بموقف الاسلام وما أعطاه ، نحن نعرف أنه فى أوروبا تفقد المرأة أهليتها — فى بعض الدول — على التصرف ، بالزواج ، فلا يعود لها الحق فى أن تبيع أو تهب ، أو تشترى أو توصى ، حتى انها لتفقد اسمها فيكون اسم العائلة هو اسم زوجها ، لكن المشكلة تأتى عندنا فيما يتعلق بالقضايا التى تبدأ تميز لكل نوع مهمته ، المرأة لها مهمة والرجل له مهمة ، فأولا ما هى هذه المهمة التى للمرأة ؟ ثم ان بعض فتياتنا يقلن : ان الاسلام فرض علينا قيودا ، فرض علينا لباسا معينا ،

فرض علينا أن تكون حركتنا محدودة ــ وأنا هنــا أردد بعض ما يقال وأعرف فى نفس الوقت أن كثيرات جــدا من فتياتنا فى العالم العـــربى والاسلامى يستشعرن تمـــاما عظمــة الاســلام وعظمــة ما قدمه للمرأة ــ لكن لهذه الفئة أو المجموعة التى ترى هذا الرأى نحب أن نناقش ، هل هناك ميزات أعطاها الاسلام للرجل على حساب المرأة ؟ هـــل حرمها ؟ هل قيدها .

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

نحن فى قصة آدم نجد حينمـــا نصح الله آدم وزوجه وحذرهما من الشيطان قال « ان هذا عدو لك ولزوجك » .. والعداوة مســـبقة لانه امتنع عن السجود ، « عدو لك ولزوجك ، فــلا يخرجنكما من الجنة » .. أى اياكما أن يغويكم ، ويدليكم بغرور فيكون أن يخرجكما من جنة الامتثال عنــد اللـــه فتشقى » (١) .. هــذا الخطاب للاثنــين ، لآدم ،

---

(١) آية ١١٧ من سورة طه

« انه عدو لك ولزوجك ، فلايخرجنكما » .. للاثنين، كان الاصول أسلوبيا .. أن يقول القرآن « فتشقيا » .. لكن القرآن عبر التعبير الموحى ، التعبير الذى يعطى لكل واحد منهما مهمته فقال : « فتشقى » فجعل الترتب فى الشقاء لآدم فقط ، فكأن آدم مخلوق ، للكفاح ، ولجهاد الحياة ولمقابلة صعابها ، والمرأة فقط مخلوقة سكنا له ، يتحرك حركته فى الحياة ويأتى ليهدأ عندها ، ويأتى ليستقر ، هى مصدر الحنان ، وهى مصدر العطف الذى يمسح بيده على كل متاعبه فتزول ، حين تمسح بيدها على كل متاعبه فتزول ، يستطيع أن يستأنف الحياة بعد ذلك بشىء من النشاط . الحق حينما قال « لتسكنوا اليها » اذا فالمهمة الاساسية للمرأة .. أن يسكن اليها الرجل . كلمة يسكن اليها .. كلمة معبأة ، معنى يسكن اليها ، انه كان متحركا ، خارجا عنها ويأتى ليستقر عندها ، اذن فهى التى تعوض الرجل عن المتاعب التى يلقاها بحنانها وبعطفها وبرقتها ، وبسهرها على راحته ، وبعد ذلك تجيىءالمهمة الثانية

« وجعل بينكم مودة ورحمة » (١) •• وبعد ذلك جاء للبنين والحفدة •• « والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا ، وجعل لكم دن أزواجكم بنين وحفدة » (٢) اذن فالمهمة الاساسية للمرأة •• أن يسكن اليها الرجل ، ومعنى يسكن اليها الرجل ، لو قدرت المرأة هذه المهمة ، لوجدتها تستوعب كل وقتها ، بمعنى أنه ساعة أن يعمل هو ، تعمل هى وتعد له ما يأتى ليرتاح به ، فيأتى ويجد بيتا ساكنا ، بيتا مستقرا ، بيتا كل أموره مرتبة •• كل أموره فيه منظمة ، فبعد أن كان متعبا • يرتاح ، وبعد ذلك تكون وعاءا للتكاثر ، تأتى بالبنين ، وتأتى بالحفدة •

مع أى شىء يتعامل الرجل فى الحياة ؟ تعامل الرجل ، ان كان مزارعا ، فهو يتعامل مع الأرض ومع الحيوانات ليربيها مثلا ، وان كان صانعا يتعامل مع المادة كى يخرج منها مثلا أدوات ، ان كان تاجرا فهو وسيط بين منتج ومستهلك ، اذن فعملية

---

(١) من الآية ٢١ من سورة الروم •
(٢) آية ٧٢ من سورة النمل •

الرجل .. تعامل مع أجناس من الحياة .. أى مع « أشياء » ، كل هذه الاشــياء لخدمة الانسان والانسان أرفع هذه الاجناس كلها .. أما مهمــة المرأة فهى التعامل مع ذلك الجنس الراقى ، وهـــو الانسان ، تتعامل مع الانسان ، تتعامل مع الانسان كزوج ، فيسكن اليها وتريحه ، ثم تتعامل معه جنينا فيكون فى بطنها وبعد ذلك وليدا تحضنه ، وليـدا ترضعه ، وليدا تعطى له المثل .. تربيه ، وتخرجـه للحياة مزودا بمبادىء القيم التى تصوغها فى نفسه اذن فالرجل يتعامل مع الاشياء التى دون الانسان ، والمرأة تعاملها الاساسى مع الانسان كزوج ، أو كابن حين تنظر الى طفولات الحيوانات نجد أن طفولات الحيوانات كلها قليلة ، وأطول الطفولات عمرا .. طفولة الانسان هذه الطفولة هى ميدان المرأة ميدان عمل المرأة ، ومادامت مدة الطفولة زادت ، لانها تزاد بقدر المهمة التى يقوم بها ، أما الحيوانات الأخرى فمهمتها غير مهمة الانسان ، لكن مهمة الانسان مهمة كبـــيرة سامية وعاليـــة ، فطفولته تناســبت مع هذه المهمة ليســتطيع أن يمد بكل المبــادىء وبكل

القيم ، وبكل الاشياء التى تعينه على هذه المهمة ، من الذى يتعامل معه ؟ الرجل يخرج لعمله والطفل مع أمه ، يظل الى سن السادسة مثلا ، الى أن يكبر ، ويوجد له مجال آخر يؤثر فيه وهو المدرسة ، الى سن السادسة ، نجد أن العقل فيه فارغ ، فالمثل تبدأ تملاه ، من اذى يستطيع أن يملأ المثل .. الأم ، فاذا كانت الأم مثلا مشغولة عن ذلك الوليد بأى عمل من الاعمال فليس من المعقول أن تتركه بلا راع ، فهى تلجأ الى راع .. وهو الخادم ، تأتى الخادم ، وقد تكون أمينة ، قد تكون نظيفة .. انما لايمكن أبدا .. أن يكون لها قلب أم ، ولذلك قرأت أنا كتابا عن « أطفال بلا أسر » وجدوا أن جيلهم متخلف ، لماذا ؟ لان عشرين طفلا مثلا يتعاملون مع مربية واحدة ويتعامل مع الطفل أطفال فى سنة ، لكن حين يكون الولد فى مجتمع بين أمه ، وبين أبيه ، وبين جده وبين جدته ، وبين أخواته المتفاوتين فى الاعمار ، يبدأ الولد الصغير يلتقط من كل جيل ، ولذلك هذا هو السر فى أن القرآن قال « بنين وحفدة » .. وأنت تتصور الوليد الناشىء فى

بيت فيه جد وجدة وأب وأم ، الجد والجدة ، الذين فرغوا من شئون الحياة المادية ، ومن التهافت عليها أصبحوا يقبلون على المثل وعلى القيم وعلى الوضوء والصلاة وسائر الفضائل ، فيبدأ يلتقط من هذا الجيل الذى يعاشره ، أما الأب فيبدأ يأخذ شيئا من نشاطه الى آخره ، وأخوه الصغير يأخذ من مستواه أيضا .

فاذا كان فى الجامعة يأخذ شيئا منه ، والذى فى الثانوى يأخذ شيئا منه .. اذن الوليد الصغير حينما يكون فى الاسرة يستطيع أن يتقبل من كل قطاعات الانسان ، القطاع الكبير والقطاع المتوسط والقطاع الصغير ، أما الام فنحن نرنوها فى أنفسنا ، فالرجل يجيىء متعبا وبعدذلك يكون له وليد ، فيصرخ بالليل ، فتجده يضيق بهذا ، ويطلب من أمه أن تقوم لتسكت هذا الوليد . وما معنى ذلك ؟ معنى ذلك أنه ليس مخلوقا كى يتحمل هذه المسألة ، ولكنه هو مخلوق لميدان العمل خارج البيت . وانما المسئول عن تحمل هذه المسألة .. هى الام ، فحينما يصرخ الوليد تقوم هى بهبة حنان ، وبهبة عطف ، وقد تجده فى أقذر

حالاته ومع ذلك نفسها لاتتقزز ، بل تنظفه ولاشىء ، وربما ذهبت لتكمل أكلها ، لكن الرجل لا يقدر على هذه المهمة ، فهو أولا لا يقدر على مهمة الضجيج فهو يريد أن يسكت الوليد لانه هو جاء ليهدأ فى البيت •

اذن فالمرأة مهمتها وتعاونها مع أشرف أجناس الكون ، وهو ذلك الانسان ، مهمة الانسان لا ننظر اليه بعد أن ينضج لانه بعد أن ينضج مطلوب منه عطاء ، انما مطلوب له أخذ قبل أن ينضج ، من الذى يعطى له ؟ لابد أن تكون طاقة حنان تحبه ، المربية مهما كانت فليس عندها طاقة الحب أو طاقة العاطفة كى تعطى حنانا ، فحينما يأتى الاسلام ليقول ان المرأة مجعولة لهذه المهمة ، سكن للزوج ، وبعد ذلك حضانة للبنين ، يعطيها أشرف مهمة فى ذلك الوجود وهذه المهمة •• يجب أن تأخذها المرأة بشىء من الفخر وبشىء من الاعتزاز ولا تأخذها بشىء من الضيق • بعد ذلك نأتى الى المسألة الأخرى ، وهى أن الاسلام مثلا يحدها ببعض الأشياء ••

**الاستاذ احمد فراج :**

قبل هذه ربما فضيلتك أثرت نقطة هامة فى الواقع هى أن الرجل يكدح ، ومهمته هى للجــلاد ومكابدة مشقات الحياة ، حتى فى التصوير القرآنى « فلا يخرجنكما من الجنة .. فتشقى » أى أنت يا آدم ، فكأنه جعل الشقاء وقفا على الرجل ، حسن .. ماذا لو رغبت المرأة فى أن تخفف عن الرجل بعض هــذا الشقاء ألا يكون هذا محمدة لها ، وشيئا تشــــكر عليه ، فهى تقوم بواجبها باعتبارها سكنا ، وتؤدى رسالة المودة والرحمة التى أشرت اليها فضيلتكمن خلال الآية ، فاذا جاءت المرأة وقالت « انه الى جانب هذه المهمة » ـــ ولو أن هذه قضية قد يختلف عليها وأنا أقول ذلك مقدما ـــ « فأنا سأعمل كى أخفف عنه هذا الشقاء » فما رأى فضيلتك فى ذلك ؟

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

هى جعلته أيضا فى شقائه ، ثم هى شقيت أيضا ، فهى لم تخفف عنه .. فهو لم يأخذ نصف عمــــل فى الخارج ، بل هو لايزال يعمل ..

**الاستاذ احمد فراج :**

لو سمحت وضح لنا ذلك بعض الشىء .

**فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

حضرتك بتقول انها بتعمل لتخفف عنه الشقاء أى عنه هو ،ولكنه يعمل ، فكيف ستخفف عنه جزء من هذا التعب ، هو لايزال بتعبه لانه لا يعمل نصف العمل خارج البيت ، ولكنها هى تعمل لتزيد الدخل ويرتفع مستوى الحياة . وهنا أريد أن أقول ، انه ليس المفروض فى الانسان المربوط بقيم دينية وسماوية ، أنه ينشد مستوى الحياة أولا ، وبعد ذلك يحمل الدخول عليها ، لا .. المفروض أننى أعمل وبعد ذلك أحدد مستوى حياتى على قدر ذلك الدخل الذى اجتهدت فى بذل جهدى للوصول اليه ، فلا أفرض أنا مستوى من المستويات ، وبعد ذلك أقول أنا أرغبه ، لا .

فالواجب الأول : أن ينظر الانسان الى عمله ويعرف المقدار الذى سيدره عليه من دخل ، وعليه

أن يجتهد كما شاء ، وبعد ذلك يحدد مستوى حياته فى حدود مستوى ذلك الدخل ، أما اذا حدد المستوى الذى يريد أن يعيش فيـــه ولم يستطع الدخـــل أن ينهض بالمستويات ، فقد يتجه الى عمل الأشـــــياء الأخرى ، قد ينحرف ، قد يرتشى من أجل أن يواجه ذلك المستوى . وهنا نقول له . لا ، المستوى لا يحدد الا بعد أن تعرف أنت ماطاقتك فى العمل ، وبالتالى تعرف مقدار دخلك ، وعليه فمستوى حياتك يحدد على هذا الدخل ، فان أرادت المرأة أن ترفع مستوى حياتها بما لايخرجها عن مهمتها كزوجة ، وعن واجبها كأم تحضن أطفالها ، ولا يبعدها عن هذا الميدان ، فيصح أنها تعمل ، لكن فى اطار .

**الاستاذ احمد فراج :**

قبل الاطار أيضا يا فضيلة الشيخ ، أريد أن أقول لفضيلتك انه فى كثير من البلاد العربية والاسلامية، لا يكون سهلا على الرجل ان يحدد المستوى طبقا للدخل المبنى على الطاقة والجهد ، لأن الدخل أصلا غير متناسب مع الطاقة المبذولة ذاتها ، فربما يعمل

الرجل عملا شاقا لكن لا يدخل اليه العائد الـــذى يتناسب مع جهده ، أو الذى يكون قادرا به عــلى مواجهة الحياة وأعبائها •

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

هذا فساد فى النظام الذى يحدث •

**الاستاذ احمد فراج :**

هذه قضية أخرى ، لكننى أتنــاول هذه القضية من زاوية آثارها على دفع المرأة ، أو اندفاع المرأة حرصا منها على أن تعمل ، فهل نفهم من كـــلام فضيلتك أن الاسلام يمنعها أن تعمل عندئذ ؟

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

الاسلام لا يمنع : ولكن الاسلام واقعى ، بحيث أن الذى خلق الانسان وخلق الظروف ، يعــرف أن هناك ظروفا قد تضطر المرأة الى أن تعمل ، لــكن الاسلام يعرضها فى حدود الضرورة ، وفى اطارها • هذا الاطار وضحته لنا قصة سيدنا موسى ، لمـــا

ورد ماء مدين « ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ، ووجد من دونهم امرأتين تذودان » •• تذودان أى تمنعان ما ترعيان عن الماء ، اذن لاى شىء خرجتا ؟ مع أن هذا مكان ورود الماء ، ومادامتا تمنعان ماترعيان عن السقى ، فلماذا خرجتا ؟ « قال ما خطبكما •• قالتا لا نسقى حتى يصدر الرعاء » •• لا نسقى حتى يصدر الرعاء معناه ، ان الفتاتين وقفتا بعيداً ، حتى ينتهى الرجال من سقى ماشيتهم ، وبعد ذلك يخلو البئر أو العين فيصلان الى هناك ، اذا الفتاتان أخذتا الضرورة بالقدر ، وليس معنى ان ضرورة أخرجتهما ، أنهما يتناسيان نوعهما ، فلابد أن يفهما أنهما لا يصح أن يحتكا بالنوع الآخر فظلتا فى مكانهما الى أن ينتهى الرجال ، ثم عللتا سبب الخروج بأن هناك حاجة دفعت الى ذلك « لا نسقى حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ».(١) فكأن « أبونا شيخ كبير » تبرير

(١) آية ٢٣ من سورة القصص

لخروجهما لهذا العمل ، فكأن أحدا قال لهم مادمتما خائفتين من الزحام أو التزاحم مع الرجال ، فمـــا الذى أخرجكما من بيتكما ؟ فقالتا .. « أبونا شيخ كبير » اذا فالآية تحدد أن ضرورة قد تلجىء المرأة الى ان تخرج الى الخارج ولكن حين تخرج لا تنسى نوعيتها ، فلا تنسى أنها امرأة ولا يصـــح أنهـــا تدخل فى زحام الرجال . وبعد ذلك جاءت لقطـــة أخرى ، وهى مهمة الرجل حينما يرى ذلك ، أو مهمة المجتمع ممثلا فى الرجل هنا .. « فسقى لهما » . ومعنى سقى لهما أنه أعانهما على أداء مهمتهما حتى يسرعا بالرجوع الى البيت ، تلك مهمة المجتمع ، حتى لو كان فردا شهما يرى المرأة مثلا وقد اضطرتهـــا ظروفها أن تخرج لعمل من الاعمال ، نشهامة الرجل تقتضيه أن يؤدى عنها هذه المهمة لتنتهى ، ولا يجعلها تضطر الى أن تزدحم مع الناس فى الحياة « فسقى لهما ثم تولى الى الظل فقال رب انى لما أنزلت الى من خير فقير » (١) . هذه اللقطة من القصة تدلنـــا

---

(١) آية ٢٤ من سورة القصص

على أن القرآن عرض هذه العرضة ، ليدلنا على أن المرأة قد تضطرها ظروفها الى أن تخـرج ، ولكن ظروفها التى اضـــطرتها الى أن تخـرج ، يجب ألا تخرجها عن نوعيتها بحيث تحتسب نفسها رجلا ، بل تأخذها بقدرها ما أمكن الى أن ينتهى الرجـال من السقى كما فى القصة وتؤدى مهمتها ، وبعـــد ذلك جاءت بالعلة « وأبونا شيخ كبير » وبعد ذلك جاءت بالمجتمع ، سواء كان مجتمعا قريبا أو بعيدا مجتمع أسرة أو فرد ، فأنا مثلا حين أكون فى أسرة وأجد أن المرأة خرجت لتعمـــل ، فان كانت لدى الشهامة وأنا أعتبر أن هـــذه من لحمى ومن دمى ، فأنا أغار على هذا ، وأرى أى مصلحة لها تمنعهـا من الخروج ، فاذا لم تجد ، فلا مانع من أن تذهب ولكن على أن تأخـذ الضرورة بقدرها ، وألا تتزيد فيها ، وهنا فانها ساعة أن تخرج ، فصحيح منعت من الازدحام ، لكن فى خروجها يلزمنا الشارع بشىء آخر ، هذا الشىء الآخر هو أنها تكون على هيئـة غير مثيرة .

**الاستاذ احمد فراج :**

هنا نأتى لقضية الحدود أو القيود المفروضـــــة عليها وعلى حريتها كما يرى ذلك بعض الاخوات .

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

القيود التى على حريتها نقول فيها ، ان التشريعات دائما حين تنظر اليها لا تتعرض لعملية الادراك ، ولا تتعرض لعملية الوجدان ، وانما تتعرض لعملية واحدة هى عملية النزوع ، بمعنى أن علماء النفس حينما قسموا مثلا مظاهر الشعور قسموها الى ثلاثة أقسام ، قالوا ان الانسان يرى وردة جميلـــة فى البستان ، فان رؤيته لها تعتبر ادراكا ، أدرك منهـــا الجميل ، فأعجبه ذلك وأحبه ، فيكون هذا وجــدانا وجد فى نفسه شيئا أثر فى ذلك الادراك ، فنجده يهم ويذهب ليقطف تلك الوردة ، فهذا نزوع ــ عمليـــة نزوعية ، اذا فكأن لمجال الشعور ثلاثة أشـــياء ، الشىء الاول يدرك ، ثم يجد ، ثم ينزع بمعنى يتحرك التشريع يأتى ويقول له أنت قد رأيت الوردة ولـــم

تمنعك من رؤيتها ، أعجبتك ووجـدت فى وجدانك شيئا من السرور فلم نمنعك من ذلك ، انما ســاعة أن تأتى كى تقطفها سيتدخل التشريع ويمنعـك من قطفها ، ويقول لك هذه ليست تملكا لك ، اذا فكـأن التشريع انما يتعرض لحالات النزوع ولا يتعـرض لحالة الادراك .. وحالة الوجدان ، لماذا ؟ لان هذه مسائل لا يقنن لها الا فى مسألة واحدة ، فيما يتعلق برؤية الرجل للمرأة . لماذا ؟ قالوا .. لأنه ليس من الممكن أن أفصل عملية الوجدان عن الـنزوع ، انسان رأى امرأة جميلة ، وتقاسيمها بديعة ، وشكلها مثير ومغرى ، هو رأى ، اذن أدرك واسـتقر فى نفسه اعجاب ، هذا الاعجاب كأنه محرك داخلى عمل فى نفسه عملية نزوعية ، ولايمكن أن نفصل العمليه الوجدانية عن النزوعية ، كما نفصلها فى الوردة ، فنجد الاسلام يقول أنا أريد أن أمنع عملية الادراك هذه من أساسها ، لأنى سـأتعبك ، فلو أبحت لك الادراك ، ثم حرمت عليك النزوع ، فستعيش فى قلق وفى تعب ، فلان . الله هو المشرع ، ورحيم . وعارف

بالنفوس ، قال .. أنا أريد أن أمنع هذا الادراك ، فلا تتعب نفسك ، لماذا ؟ لانها لو أثارتك وأعجبتك ماذا يكون الموقف ؟ الموقف يعلمه الله ونعلمه جميعا من واقع الحياة ، وأظن شوقى رحمه الله عليه قال « نظرة فابتسامة ، فسلام فكلام فموعد فلقاء الى آخره . لكن التشريع قال ، أنا لن أبيح لك الادارك حتى لايكون عندك وجدان مثار ، لانك لا تستطيع أن تفصل بين الوجدان والنزوع ، فقال التشريع : « يدنين عليهن من جلابيبهن » (١) وقال له .. غض من طرفك ، لأنك ستتعب نفسك وتتعبها ، اما أن تؤدى العملية النزوعية ، فتريح ، فتنتهك ، واما الا تؤديها ، فتقلق وتعيش فى اضطراب . وأيضا أنت يا امرأة أريد أن أؤمن حياتك ، بهذا التشريع الاسلامى تؤمن حياة المرأة ، لماذا ؟ لأن الانسان المتزوج من زوجة مكثا معا مدة طويلة ، وهما الآن فى سن الاربعين والخمسين فان المرأة تعرضت لعمليات الخدمة ، وعمليات الولادة ولعمليات الرضاعة ولعمليات

---

(١) آية رقم ٥٩ من سورة الاحزاب

التربية ولعامل الزمن فى شكلها وفى نضارتها ، وكل هذا أثر فى تكوينها ، فاذا كان الرجل الذى فى سن بين الاربعين والخمسين يذهب الى الشارع فيجد فتاة فى مقتبل عمرها ، على أحسن ما تكون من الزينة وأنضر ماتكون من الشباب ،فماذا يكون موقفه بالنسبة لها حينما يراها ؟ ستجلب غرائزه ، فبعد أن كانت غرائزه .. غرائز طبيعية وهو مع أهله ، تثور كل فترة وتهدأ بانتظام ، فانه حين يرى منظرا كذلك الـــــذى نذكره ومن شأنه أن يجلب غرائزه ويلهبها ، فماذا ستكون النتيجة المحتملة ؟ ساعة أن يذهب الى البيت ويجد زوجته مجعدة الشعر مثلا ومتعبة فانه قد يبدأ بعمل مقارنة ، وفساد أغلب البيوت من هذه المسألة ، فيبدأ ينظر الى منظر لا يحب أن يراه ، لانه رأى منظرا آخر ، والفتاة الجميلة التى فى الحـــــالة الاولى ستصل الى مثل هذا السن يوما ما ، فهـــو يقول لها ، لا تتبرجى حتى لا تلهبى غرائز الناس ، وتفسديهم على بيوتهم ، لانك عندما ستكونين فى هذا السن فلن تأتى فتاة أخرى ينتظر خلقها لتفســـــد

رجلك وبيتك عليك ، لان هذه الفتاة ستتعرض امـــا لشاب لا زال فى مقتبل حياته ، وهو لا يزال يتعلم ولم يستقر بعد ، ولايزال عالة على أهله ، وهـــــو لا تنقصه يقظة غرائزه زيادة عما هى فيه ، وامـــا لانسان له حياة رتيبة ، وله أهل فتأتى هذه الفتـــاة له • فكأن الاسلام أمن حياتها أيضا ، لأن عمـــــر زمانها هذا عشرة أو خمس عشرة سنة ، وبعد ذلك تصير امرأة عادية ، تفسدبيتك ، وتفسد ولدك وتفسد زوجك عليك فتاة لاتزال فى مقتبل العمر •

فالاسلام كىيرحم المرأة ويؤمنحياتها ، ويجعلها وقورة ومحترمة ، منعها من أن تفعل فى النـــاس هذا ، حتى لا يفعل أحد معها ذلك •

اذا فالاسلام حينما جاء ليحدد الادراك فالمسألة الوحيدة التى حدد فيها الادراك فى مجال الشعور ، هى مسألة النظر الى المرأة ، لان العملية الوجدانية التى سينشأ منها النزوع لايمكن فصلها ولا يمكن فصل ذلك الا بتعب نفسى وبقلق وضيق ، وبعد ذلك تفسد البيوت ويأخذ فساد البيوت ألوانا شتى من

المعاذير غير الاساس الاصـــــيل ، ونعانى من أسر تجتمع وتعالج المسائل ، والسبب الاصيل موجود فى مثل هذه الاشياء • فحين يحجر الاسلام على المرأة انها لا تتبذل أو لا تتبرج أو أنها لا تبدى زينتهـــا الا لكذا وكذا فالاسلام يريد أن يكرم المـــرأة وهو يريد أن يجعلها فى مكانها الطبيعى من المجتمع ، زوجا تمثل السكن ، وأما تمثل الحضـــــانة لا شرف جنس فى الوجود (١) بمقدار ما حرص على أن يأمر الرجال بغض البصر وحفظ الفرج •

**الاستاذ احمد فراج :**

بعد أن وضح فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى رأيه ووجهة نظره فى هذه الامور ، هل

---

(١) الامر فى القرآن الكريم للجنسين معا وتكليف لهما « قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم ان الله خبير بما يصنعون • وقل للمؤمنات يغضضن من أبصـــــارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منهـــــا » ( الآية ٢٠ ـــ ٢١ من سورة النور ) •

نتلمس فى نصيحة أم اياس لابنتها بعض المعانى التى تعرضتم لها .

**فضيلة الاستاذ الشيخ محمد متولى الشعراوى :**

نعم نصيحة امرأة لامرأة ، تعطى لها مقوماتها كزوجة هذه امرأة ، ولو حضرتك جمعت كل المشتغلين بهذه المسائل من الرجال ؛ كى يضعوا دلالة هذه البنود التى وضعتها أم اياس لوجدتها تعطى لك فكرة على أنها امرأة عاشت فى منهجها الحقيقى ، هذه المرأة التى عاشت فى منهجها الحقيقى أرادت أن تنقل المنهج الحقيقى الذى عاشته الى ابنتها لتسعدها فماذا قالت لها أمها ؟ أولا كانت الفتاة جميلة جدا ، وبلغ الحارث بن عمر ملك كنده جمالها ، فأراد أن يتزوجها ، فأرسل خاطبه ، فمدحت الفتاة له مدحا كبيرا جدا ورغبته فيها ، فذهب ليتزوجها ، فلما تزوجها ، وجاءت لتحمل اليه قالت لها أمها « .. أى بنيه ، أن النصيحة لو تركت لفضل أدب ، لتركت لذلك منك » أى أنك مؤدبة ، ولست فى حاجة الى نصيحة » ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى

أهلها لكنت أغنى الناس ، ولكن الرجال للنساء خلقن ، ولهن خلق الرجـال ، يا ابنتى احفظى عنى عشرة خصال تكون لك ذخرا •

أما الاولى والثانية فالمعاشرة له بالرضى والقناعة وحسن السمع والطاعة •

وأما الثالثة والرابعة ، فالتفقد لموضـــم أنفه ، وموقع عينه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا يشم منك الا أطيب ريح •

وأما الخامسة والسادسة فالهدوء عند منـامه ، والتفقد لوقت طعامه ، فان حرارة الجوع ملهبـــة وتنغيص النوم مغضبة •

واما السابعة والثامنة فالاحتفاظ بماله ، والارعاء على حشمه وعياله •

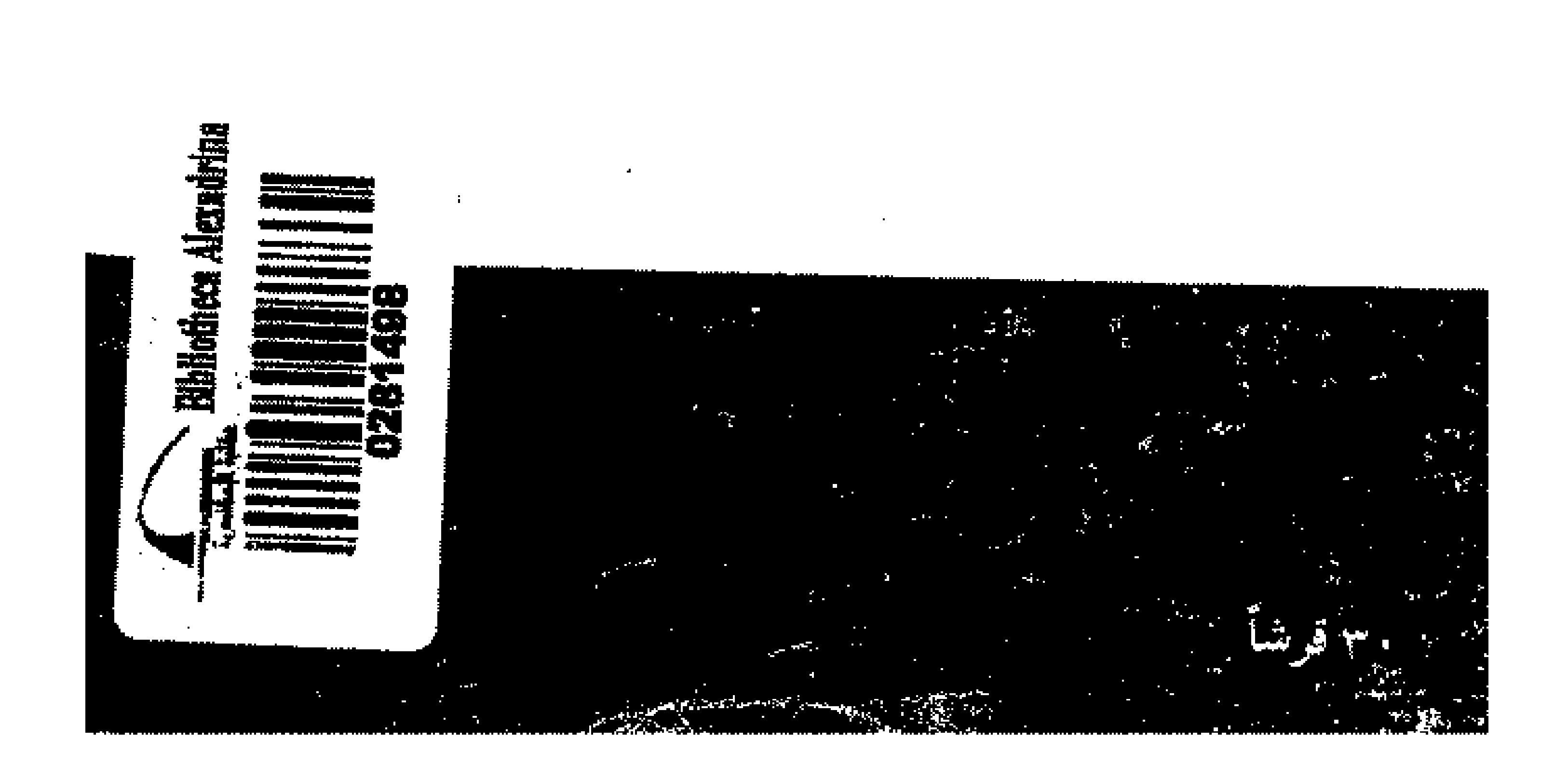
وأما التاسعة والعاشرة فأياك أن تعصى له أمرا أو تفشى له سرا ، فانك ان عصيت أمره ، أو غرت صدره ، وان افشيت سره ، لم تأمنى غدره ، وأعدك بعد ذلك من الفرح أن كان ترح أو من الترح ان كان فرح •

## فهـــرست



مطابع مؤسسة روز اليوسف

رقم الايداع بدار الكتب ٣٦٩٧ / ١٩٧٥


Bibliotheca Alexandrina
0261498
٣٠ قرشاً